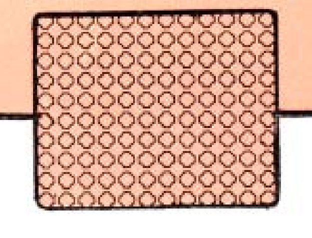


القرآن

أنواره - آثاره - أوصافه - فضائله خصائصه - تفسيره - ختمه

تأليف

محمد محمود الصواف

مؤسسة الرسالة

الطبعة الخامسة

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

المكتبة القرآنية
(١)

القرآن

أنواره، آثاره، أوصافه، فضائله
خصائصه، تفسيره، ختمه

تأليف
محمد محمود الصواف

مؤسسة الرسالة



مقدمة الطبعة الثانية

في مسند الامام أحمد رحمه الله عن شداد بن أحوس رضي الله عنه قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

اذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا أنتم هؤلاء الكلمات :

اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد . واسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك . وأسألك قلباً سليماً ، وأسألك لساناً صادقاً ، واسألك من خير ما تعلم ، واعوذ بك من شر ما تعلم ، واستغفرك لما تعلم إنك علام الغيوب .

وإنني اكتنز هذه الكلمات في مقدمة كتابي القرآن. أنواره آثاره الخ»في طبعته الثانية . واكرر سؤالي من ربي الجليل الكبير . أن يوزعنا شكر نعمته ، وحسن عبادته . وان يوفقنا لما يرضيه عنا عز وجل . وهو سبحانه أهل الشكر والحمد ، والفضل والثناء .

ومما يستحق الذكر والشكر هو توفيق الله عز وجل لي في إخراج هذه السلسلة التي سميتها « المكتبة القرآنية » وما كادت الحلقة الأُولى تظهر للوجود حتى تسابقت اليها الأَيدي المؤمنة ، والنفوس النَّهمة لطلب العلم ، وتقبلها الشيوخ والشباب والنساء والرجال ، بقبول حسن . حتى نفدت نسخها في بضعة أشهر . مما اضطرني إلى اعادة طبعها ثانية مع شيء يسيرٍ من الزيادة والتنقيح ، اتماماً للفائدة وحرصاً على تعميمها بين شبابنا خاصة . ونفاذ هـذا الكتاب في هذه السرعة دليل على انتشار الوعي الاسلامي بفضل الله في أُمتنا الاسلامية المقبلة باذن الله على نهضة كبيرة تعيدها إلى رسالتها السامية وتعيد لها جهادها ، وكل ذلك مرتبط بعودتها لكتاب . ١٠

العظيم « القرآن » تحفظه ، وتنفذ أحكامه ، وتطيع أوامره . وتسير على النهج الذي رسمه لها هذا الكتاب الإمام . الذي من جعله أمامه وإمامه قاده إلى الجنة . ومن جعله وراءه ساقه إلى النار وبئس القرار .

ولعل خير ما نختم به هذه المقدمة المختصرة انما هو كلمات نيرات خالدات للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إذ قال فيما روي عنه في رسالة للحارث الهمذاني :

تمسك بحبل القرآن ، واستنصحه ، وأحل حلاله ، وحرم حرامه ، واعتبر بما مضى من الدنيا وما بقي منها ، فإن بعضها يشبه بعضاً ، وآخرها لاحق بأولها حائل مفارق . وعظم اسم الله أن تذكره الا على حق » .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مكة المكرمة

غره ربيع الثاني سنة ١٣٩٤ .

محمد محمود الصواف

مقدمة الطبعة الأولى

من دعاء الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام :
(اللهم أحيْني بالإسلام قائماً ، وأحيني بالإسلام قاعداً ، وأحيني بالاسلام راقداً ، ولا تشمت بي عدواً ولا حاسداً . اللهم إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك ، واستعيذ بك من كل شر خزائنه بيدك) .

اللهم أتمم علينا نعمتك ولا تحرمنا هدايتك ، وأسلكنا بالقرآن في سلك الهادين المهديين ، وارفعنا به إلى أعلى عليين . واجعله يا ربنا ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء أحزاننا ، وذهاب همومنا وغمومنا . اللهم ذكرنا منه ما نسينا وعلمنا منه ما جهلنا وارزقنا تلاوته أناء

الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا وبعد :

فهذا كتاب أصله محاضرة ألقيتها في مكة المكرمة في يوم ١٧ رمضان ١٣٩١ هـ في اسبوع القرآن الذي أقمناه باسم اللجنة العليا للتوعية الاسلامية في وزارة المعارف السعودية ، ثم رأيت أن أزيد في هذه المحاضرة لجلال موضوعها وأهميته في حياتنا الدينية والاجتماعية والسياسية وهو القرآن العظيم الذي هو دستورنا ومنهاج حياتنا ومصباح ربنا بيننا يضيء لنا الطريق ويهدينا إلى أقومه ويرفعنا الله به مكاناً علياً .

وكانت لي فكرة راودتني منذ أمد غير يسير وهو أن أصدر رسائل مختصرة عن كتاب الله بياناً وتفسيراً وتذكيراً وقصصاً وارشاداً ، والقارىء اليوم أصبح ملولاً مشغولا . ووسائل الحضارة أشغلته وأبعدته عن القراءة العميقة الدقيقة الطويلة الأمد . فالإذاعة والتلفزيون والصحف والمجلات ووسائل اللهو ، كل هذه أبعدت الكثيرين من شبابنا عن القراءة الهادفة البناءة والتي تقتضي منهم صبراً ومعاناة ؛ ولقد ملوا القراءة الطويلة ،

وثقلت عليهم مطالعة الكتب الكبيرة . فهم في حاجة ماسة إلى رسائل صغيرة سهلة القراءة سهلة المأخذ سهلة الأسلوب تهضم بسرعة ، وتقرأ بسرعة إذ أننا في عصر السرعة كما يقولون .

لذا فكرت في إصدار سلسلة من هذه الكتب لتكون بين أيدي شبابنا المسلم الطالع وحاولت أن تكون بلغة سهلة واضحة بينة لا تعلو على العامة ولا تنبو عن الخاصة .

ثم رأيت أن أسميها « المكتبة القرآنية » وهذه هي الرسالة الأولى عن القرآن العظيم أنواره وآثاره وخصائصه وفضائله وتفسيره وختمه ، وستتلوها - باذن الله - رسائل أخرى تتناول جوانب أخرى من كتاب الله كتفسير قصار السور التي يحتاجها الكبير والصغير ، وغيرها من كنوز القرآن العظيم الذي هو نور الله في الأرض . ولكن واأسفا أغمض الكثيرون عيونهم عن هذا النور وجهلوا ما فيه بل جهلوا حتى قراءته ، وتركوا تلاوته ونسوا احكامه إلا من رحم الله منهم قليل ما هم

والتفسير كما ذكر صاحب مناهل العرفان في علوم

القرآن في صورة مجملة على نوعين : أحدهما تفسير جاف لا يتجاوز حل الألفاظ وإعراب الجمل ، وبيان ما يحتويه نظم القرآن الكريم من نكات بلاغية واشارات فنية ، وهذا النوع أقرب إلى التطبيقات العربية منه إلى التفسير وبيان مراد الله من هداياته .

والنوع الثاني : تفسير يجاوز هذه الحدود ويجعل هدفه الأعلى تجلية هدايات القرآن وتعاليم القرآن وحكمة الله فيما شرع للناس في هذا القرآن ، على وجه يجتذب الأرواح ، ويفتح القلوب ويدفع النفوس إلى الاهتداء بهدي الله . وهذا هو الخليق باسم التفسير وفيه يساق الحديث وأرجو أن أوفق إلى تجلية الكثير من هداية هذا الكتاب العظيم وأضعها بين يدي شبابنا ليضعوا أيديهم على كنوز لا تفنى فيها سعادتهم ، وفيها عزهم ومجدهم من كتاب ربهم العظيم الذي جعله الله تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين .

والله أسأل أن ينفع بها ويجعلها خالصة لوجهه الكريم

إنه تبارك وتعالى نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين .

محمد محمود الصواف

المعجزة الكبرى

ان الله تبارك وتعالى ما بعث نبياً ولا رسولاً إلا وقد أيده بالآيات الكونية الخارقة والمعجزات الباهرة المخالفة للسنن المعروفة للناس ، والخارجة عن مقدور البشر . ليكون إظهارها على يدي الرسول مع بشريته دليلاً على أنه مرسل من ربه وأن الله أجرى على يديه من الخوارق ما يعجز عنه غيره من البشر . فناقة صالح ، وعصا موسى ، عليهما السلام وما ظهر على يدي عيسى عليه السلام من العجائب والخوارق والمعجزات كلها من هذا القبيل .

وكانت هذه الايات والمعجزات حسية يوم أن كان

العقل الانساني في طوره البدائي الأول ، ولم يبلغ فيه بعد سن الرشد ، ويوم أن كانت هذه العجائب تبلغ من نفسية الشعوب مبلغاً لا تملك معه إلا الاذعان والتسليم بما ترى وتسمع مما يجيء به الرسل عليهم الصلاة والسلام .

فلما بدأ النوع الانساني يتطور بعقله ، وفكره ، وتصوراته ، وبدأت الحياة العقلية تأخذ طريقها إلى الظهور والنماء . لم تَعُدْ تلك الظواهر والعجائب والخوارق كافية على صدق الرسول وتدعيم دعوته وتسليم الناس له بيسر وبساطة ، ولم يَعُد من السهل على العقل أن يذعن لمجرد شيء رآه خارجاً عن عرف الحياة . لقد أصبح هذا العقل النَيِّر الجديد يريد شيئاً جديداً باهراً لا تخالطه الشكوك ، واليقين الذي يبدد ظلمات الشبهات ، وما كان الله العظيم ليميز النوع الانساني في طفولته الأولى بما يحفظ به حياته الدينية ثم يتركه بعد أن أخذ سبيله إلى النظر العقلي ، والاستقلال الفكري ، دون أن يقيم له من الحجج والأدلة والبراهين ما يتناسب والارتقاء الذي

انتهى إليه . لذا كانت رحمته العظمى سبحانه للبشرية جمعاء أن بعث فيهم رسولا منهم كافة للناس بشيراً ونذيراً وأيده بالمعجزة الكبرى ، والمنة العظمى ، ألا وهي : القرآن العظيم .

المعجزة العلمية والحجة العقلية والبرهان الساطع والنور اللامع الذي أعجز الفصحاء والبلغاء ، وأهل الفكر والعلم والذكاء والفطنة في لفظه ومعناه ، قال تعالى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ على أَنْ يَأْتوا بمِثْلِ هذا القرآنِ لا يَأْتون بِمِثْلِهِ وَلَوْ كان بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهيراً) .

وهذه المعجزة الكبرى ليست من تأْليف أحد . بل يعجز عنها كل أحد . إلا الفرد الصمد ، الواحد الأَحد ، سبحانه وتعالى أوحى الله بهذه المعجزة على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم . على أكمل صورة وأتم عناية ، وأكبر رعاية قال تعالى : (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العالمينْ نَزَلَ به الروحُ الأَمينُ على قَلْبِكَ لِتَكونَ مِنَ المُنْذِرين بِلِسانٍ عَرَبيّ مُبين) .

لقد جاء هذا الوحي ونزل هذا القرآن ، فحطم الفساد ، وهدم الباطل وقضى على الشرك والكفر والضلال . في جميع صوره وأشكاله . كما قضى على الخرافات التي لوثت العقول ، وعلى الانحرافات التي شوهت الفطر الانسانية . لقد دمر هذا الكتاب كل معالم الشر ، وهدم حصون الجهل ومحا كل لون من ألوان الفساد . وسما بالنفس الإنسانية حتى وصل بها إلى أقصى ما قدر لها من الكمال الانساني .

واستهدف هذا الكتاب العظيم تهذيب الفرد ، وتعاون الجماعة وايجاد حكم عادل ، أساسه الشورى ، والتناصح بين الحاكم والمحكوم ، وغايته حراسة دين الله وسياسة دنيا الناس والدعوة إلى هداية هذا الدين لتعم الاخوة بين الناس مما يعجل بسلام آمن يعيش الناس في ظله آمنين مطمئنين ، ولم يعرف لكتاب من الكتب مثل ما عرف عن هذا الكتاب العظيم المعجزة الكبرى « القرآن » من سمو الموضوع ، وسحر البيان ، وقوة التأثير مما وجه عناية العلماء إلى الاهتمام بدراسته وفهم تعاليمه وأحكامه

ومعرفة أسراره ومراميه فاهتموا بدراسته من حيث ألفاظه ومعانيه وعقائده وآدابه ، وأحكامه وتشريعاته وأوجدوا بهذه الدراسة الهادفة ثروة ضخمة من مختلف العلوم والآداب التي كانت ولا تزال المادة الصالحة لقيام حضارة إنسانية ضخمة ينعم فيها البشر بحياة سعيدة رغيدة يعلوها الايمان وتجللها المحبة والسلام (١) قال تعالى : (وكَذلِكَ أَوْحَينا إِلَيْكَ روحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْري ما الكِتابُ ولا الايمانُ ولكن جَعَلْنَاهُ نوراً نَهدي بهِ من نَشاءُ مِنْ عِبادِنا) .

فالقرآن العظيم : هو المعجزة الكبرى التي أيد الله بها نبيه الأُمي والتي غيَّر بهـا نفوساً ، وأحيا قلوبـاً ، وأنار بصائر ، وربى أُمة ، وكون دولة في زمن يشبه الخيال .

فإذا كان قلب العصا حية معجزة ، وهي معجزة ، بحق ، فإن تغيير العقول والقلوب والأفهام أبلغ في الاعجاز

(١) راجع كتاب من الاسلام للأستاذ الشيخ سيد سابق .

وأكبر ، وإذا كان إحياءُ الميت من الخوارق والمعجزات التي أيد الله بها بعض أنبيائه . فإن إحياء أمة أمية من الجهل والرذيلة والشرك والكفر إلى أمة هادية ، مهتدية ، فاتحة ، منتصرة قائدة ورائدة عادلة حتى كانت مصدر إشعاع وهداية للناس . إن هذا هو المعجز وهو الخارق الذي تتضاءل في جوانبه جميع المعجزات والخوارق .

إن هذه الأُمة زكت بالقرآن ، وسادت بالقرآن ، ولقد كان همهم الأَول القرآن يحفظونه ويفهمونه قبل أن يحفظوه ، ثم يعملون بتعاليمه بدقة وحرص وإحكام ويهتدون بهديه في يقظة وانتباه . لقد توفروا على دراسة القرآن واستخراج كنوز هداياته ، حتى صفت أرواحهم وطهرت نفوسهم ، وعَظُمت آثارهم . فالروح أقوى شيء في هذا الوجود الانساني . فمتى صفت وزكت وتهذبت وحسن توجيهها وقيادتها أتت بالعجب العجاب . وقد أتى المسلمون بالعجب العجاب حينما اهتدوا بهدي القرآن ، وساروا على نوره وصراطه المستقيم فانقاد لهم العالم ، وأنقذوا البشرية . وكتب الله لهم النصر والتأْييد والدولة

والظفر حتى على أقوى دول العالم آنذاك ، وأقاموا دولة الاسلام وكانت بهجة الدنيا ، وزينة الحياة ، ومنها شع النور على العالم المظلم . وكانت تحت لواء القرآن ترفل بعزة الله ، وتسعد برضاه إذ أقامت حكم الله ، وحافظت على ما أنزل في قرآنه من حدود وأحكام ، ومبادىء نشرت الأمن والسلام في ربوع هذه الأرض .

●

تفسير القرآن

مفتاح سعادة الأُمة الإسلامية مطوي في هذا الكتاب العزيز ولا يمكن لهذه الأُمة أن تنهض نهضة حقيقية إلا عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن ، ونظمه الحكيمة التي روعيت فيها جميع عناصر القوة والسعادة لهذه الأُمة بل وللنوع البشري بأسره . على ما أحاط به علم الله منزل القرآن الحكيم الحميد . والعمل بهذه التعاليم والحرص عليها لا يكون الا بعد تفهم القرآن وتدبره ، والوقوف على ما حوى بين طياته من كنوز لا تفنى ، ولا تنقضي عجائبها ، ومعرفة تلك القوة الهائلة التي يحملها اسلوبه البارع المعجز الرصين وهذا لا يتحقق إلا عن طريق

تحويل الأمة بمختلف الوسائل لفهم كتابها المنزل لسعادتها . ومعرفة ما تدل عليه آياته البينات والتفسير هو مفتاح هذه الكنوز والذخائر التي احتواها هذا الكتاب العظيم الذي أنزله الله نوراً للعالمين ، وهدى للناس ، وإنقاذاً للبشرية من مهاوي الجهل والضلال والفساد .

والصحابة الكرام عليهم رضوان الله أجمعين ـ وهم سلف هذه الأمة ـ حينما أخذوا القرآن تعلموه وتعلموا منه الفهم والعلم والعمل .

روى مسلم عن مسروق قال : كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار .

وعن أبي عبد الرحمن قال : حدثونا الذين كانوا يقرؤوننا أنهم كانوا يستقرؤون من النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا ما فيها من العمل ؛ فيُعلموا القرآن والعمل جميعاً وعن ابن مسعود قال : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن .

قال إياس بن معاوية : مثل الذين يقرأون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة لا يدرون ما في الكتاب . ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجال جاءهم المصباح وقرأوا ما في الكتاب .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الذي يقرأ ولا يفسر كالأعرابي الذي يهذي بالشعر .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : إن من أشراط الساعة أن يبسط القول ، ويحرن الفعل ، ويرفع الأشرار ، ويوضع الأخيار ، وأن تقرأ المثناة على رؤوس الناس لا تغير . قيل : وما المثناه ؟ قال : ما استُكْتِبَ من غير كتاب الله . قيل له ، فكيف بما جاء من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ما أخذتموه عمن تأمنوه على نفسه ودينه فاعقلوه . وعليكم بالقرآن فتعلموه وعلموه أبناءكم فإنكم عنه تُسْألون وبه تجزون وكفى به واعظاً لمن عقل .

وقال رجل لعبد الله بن مسعود : أوصني . فقال : إذا

سمعت الله تعالى يقول : (يا أيُّها الَّذين آمَنوا) فأرعها سمعك فإنه خير يأمر به ، أو شر ينهى عنه .

وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أحسن الناس قراءة أو صوتاً بالقرآن . فقال : الذي إذا سمعته أو رأيته تخشى الله تعالى . وقال عليه الصلاة والسلام :

« اقرأوا القرآن قبل أن يجيء قوم يقيمونه كما يقام القدح ، ويضعون معانيه يتعجلون أجره ولا يتأجلونه (١) » .

هكذا كان سلف هذه الأمة إذا تعلم أحدهم ، آيات لا يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ويعمل بكل ما عرف وعلم ونفذ أوامر الله أمراً أمراً ، وحكماً حكماً ، لا يتعداها ولا يجاوزها ولو قطع إرباً إرباً وبهذا أصبحوا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله لقد فازوا وعزوا ونجحوا بهذا القرآن نجاحاً

---

(١) راجع كتاب مقدمتان في علوم القرآن ص ٢٦٠ .

مدهشاً رائعاً كان وما زال موضع اعجاب التاريخ والمؤرخين – حتى من غير المسلمين – مع العلم بأن سلفنا ذلك رضي الله عنهم وأرضاهم كانوا في قلة من العدد وضيق من الأرض ، وخشونة من العيش ونُسخ القرآن ومصاحفه لم تكن ميسورة لهم ، ولا محفوظة عندهم لندرتها وقلتها . ولكنه كان محفوظاً في صدورهم ، ومحفوظاً في أخلاقهم وأعمالهم ؛ وكان كل واحد منهم قرآناً يسير في الأرض وهو يحمل أخلاق القرآن ، وآداب القرآن ، ومبادىء القرآن .

سئلت عائشة عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فأجابت : كان خلقه القرآن هكذا كان المسلمون الأوائل . ولم يجعلوا من القرآن ألفاظاً يرددونها وأنغاماً يلحنونها ، وأصواتاً يطربون لسماعها . كما لم يجعلوا القرآن للمآتم ، والمحافل والمقابر والدور أو مصاحف يحملونها لتدفع عنهم الشيطان أو يودعونها في البيوت للبركة والتجمل والتفاخر أو التظاهر بالعناية بكتاب الله ، وحب كتاب الله . ونسوا أو تناسوا أن بركة القرآن العظمى إنما هي

في تلاوته وتدبره ، وتفهمه ، وتعقله ، والعمل بمبادئه وأحكامه ، وفي الجلوس اليه والإستفادة من هديه وآدابه ، ثم الوقوف عند أوامره ونواهيه ، والبعد عن مساخطه وزواجره .

ومما وصف به الواصفون شباباً من سلف هذه الأمة إذ قال فيهم :

طالما نظر الله إليهم في أجواف الليل . فرأى أصلاباً منحية على أجزاء القرآن. كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة ، بكى شوقاً اليها ، وإذا مر أحدهم بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه . موصول كلالُهم بكلالِهم كلال الليل ، بكلال النهار وكأنهم رهبان بالليل فرسان بالنهار . هذا مثل من تأثير القرآن فيهم اذا مروا بآية من ذكر الجنة بكوا شوقاً إلى الجنة ، وكأنهم يرونها رأي العين . وكذا في جهنم وعذابها وأوصافها اذا سمعوا آية في أوصافها شهقوا شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيهم وكأنهم اصطلوا بسعيرها وعذابها وذاقوا لوعتها وشدتها .

وهؤلاء وأمثالهم هم أهل القرآن وأهل التدبر والتفكر .
وهم أولوا الألباب قال تعالى : (كِتابٌ أنزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّروا آياتِهِ وليتَذَكَّرَ أولوا الألبابِ) .

وكانوا رضوان الله عليهم يخشون الله إن لم يتدبروا كتابه ، وهم مستيقنون أنهم إن أعرضوا عن هذا الكتاب ضلوا ، وضاعوا وتاهوا أفراداً وأمماً . وأصبحوا شر البرية . بينما هم خير البرية وأسعد الناس طراً . قال تعالى :(أفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ أمْ عَلى قلوبٍ أقْفالُها) .

ونقل عن بعض رجال سلف هذه الأُمة أنه قال : إذا سمعتُ المثل في القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي لأن الله تعالى قال : (وَتِلْكَ الأمْثالُ نَضْرِبُها لِلْناسِ وما يَعْقِلُها إلاَّ العالِمونَ) .

فما أحوج الأُمة اليوم إلى أمثال هؤلاء الرجال . وآخر الأُمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها فعليهم أن يعودوا إلى كتاب الله العظيم يستلهمونه الرشد ويستمنحونه الهدى ويحكمونه في نفوسهم وفي كل ما يتصل بهم،

كما كان الآباء الأولون يتلونه حق تلاوته بتدبر وتفكر في مجالسهم ومساجدهم وأنديتهم وبيوتهم وفي صلواتهم المفروضة ، والنافلة ، وفي تهجدهم بالليل والناس نيام . حتى ظهرت آثاره الباهرة عاجلة فيهم . فرفع الله به نفوسهم وانتشلها من حضيض الشرك والوثنية ، وأعلى به هممهم وهذب به نفوسهم ، وأرشدهم إلى الانتفاع بقوى الكون ومنافعه فسبقوا الدنيا في العلوم والفنون والصناعات كما بزوا الأمم في الأخلاق والآداب والاصلاح والإرشاد . ووصلوا إلى غاية عجز عنها سائر الناس حتى قال بعض فلاسفة الغرب في كتاب له سماه « تطور الأمم » :

إن ملكة الفنون لا تستحكم في أمة من الأمم إلا في ثلاثة أجيال : جيل التقليد ، وجيل الخَضْرَمة ، وجيل الاستقلال . وشذ العرب وحدهم فاستحكمت فيهم ملكة الفنون في جيل واحد (١) وكل ذلك بفضل القرآن والاسلام الذي نقلهم هذه النقلة السريعة إلى هذا التطور

---

(١) مناهل العرفان ص ٤٧٧

الذي أدهش الناس وجعلهم أسبق الأُمم في أسمى حضارة انسانية أقاموها وبنوا أركانها على الحق والعدل والقسطاس المستقيم .

ومن الأَوصاف الجميلة لهذا الكتاب العزيز ، كتاب الله العظيم . ما ذكره المستشرق الفرنسي الدكتور « موريس» في وَصف القرآن اذ قال : إنه ندوة علمية للعلماء . ومعجم لغة للغويين ، ومعلم نحو لمن أراد تقويم لسانه ، ودائرة معارف للشرائع والقوانين ، وكل كتاب سماوي جاءَ قبله لا يساوي أدنى سورة من سوره في حسن المعاني وانسجام الالفاظ . ومن أَجل ذلك نرى رجال الطبقة الراقية في الأَمة الاسلامية يزدادون تمسكاً بهذا الكتاب . واقتباساً لآياته ، يزينون كلامهم ، ويبنون عليها آرائهم كلما ازدادوا رفعة في القدر ونباهة في الفكر .

طريقة الصحابة في حفظ القرآن

آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام هم أهل القرآن وخاصته ففي أوساطهم نزل وفي قلوبهم استقرت آياته ، وفي أعمالهم تمثلت آداب القرآن وأخلاق القرآن . وكانت لهم طريقتهم الخاصة في حفظ القرآن واستيعاب آياته . فهم رضوان الله عليهم يحفظونه عشراً عشراً . أي كلما نزلت عشر آيات حفظوها ولم يتجاوزوها إلى عشر آيات أخرى حتى يتموا حفظها وينفذوا أحكامها ويطبقوا ما تأمرهم به من أوامر أو نواهي .

أخرج الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

قال : كنا إذا تعلمنا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات من القرآن لم نتعلم من العشر الذي نزلت بعدها حتى نعلم ما فيه . قيل لشريك : من العمل . قال : نعم .

فطريقة الصحابة في حفظ القرآن تقوم على ثلاث قواعد وأسس هي الغاية في كمال التربية العملية واتباع أدق وسائل التعليم التي تغرس المعلومات في النفوس غرساً مكيناً متيناً .

وهذه القواعد والأسس الثلاث هي : ١ ـ حفظ القرآن . ٢ ـ فهم القرآن وفقهه . ٣ ـ العمل بما في القرآن وتطبيق أحكامه .

لذا فإنهم رضوان الله عليهم لم يكونوا يستكثرون من الحفظ قبل أن يتقنوا هذه الطرق الثلاث الحفظ ، والفهم ، والعمل . وما كانوا يفرقون أبداً بين هذه القواعد في أخذ القرآن .. ومن فرق بينها لم يكونوا يعتبرونه قارئاً ولو حفظ القرآن كله .

روى الإمام أحمد رحمه الله في كتاب الزهد أن رجلا

أتى أبا الدرداء فقال : ان ابي جمع القرآن ... فقال : اللهم غفراً إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع .

وبهذه الطريقة الحكيمة حفظوا القرآن العظيم ، وتفقهوا في معانيه ومغازيه حتى أصبحوا علماء بحدوده وأحكامه ، وشرح الله صدورهم بهذا القرآن وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون وجعلهم أئمة الهدى وأعلام التقى وسادة الناس في العلم والعرفان حينما نفذوا أحكام القرآن وأطاعوا ربهم فيما أمرهم به ، وانتهوا عما نهاهم عنه وجاهدوا في الله حق جهاده ، ولكن واأسفاه لما تغير وجه الزمان بتغير بني الانسان حيث سقطت الهمم وقل العمل ، وغلب الكسل . جاء دور الانحطاط حيث انتشر الفساد وتغيرت المفاهيم واختلفت الوسائل ، وافترق العلم عن العمل ، ووجدت طبقات من القراء فرقوا بين حفظ القرآن واتقانه ، وبين فقهه والعمل بما فيه . حتى أصبح القراءُ وكأنهم صناع أكثرهم لا يفقهون معاني ما يقرأون والناس أصبحوا لا يستغربون ولا يستنكرون أن يروا قارئاً لا فقه له ولا يعلم شيئاً مما يقرأ وكأن القراءة

أصبحت حرفة عند بعض هؤلاء ، وكان الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يعني أمثال هؤلاء حين قال : لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره ، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه . ينثره نثر الدقل ، وفي لفظ عنه قال : كنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أوتينا الايمان قبل القرآن. وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن أقرأ منا . وعلمنا فمن أعلم منا . أخرجه الحاكم وصححه ابن ماجه والبيهقي ونحن نرى بأم أعيننا اليوم من المسلمين ممن حسبوا على القرآن وهم يقيمون حروفه ويضيعون حدوده وأحكامه . وممن حسبوا على الاسلام وهم لا يفقهون من أحكام شريعة الاسلام شيئاً . بل عمت الجهالة بالقرآن أو كادت تعم الأقطار الاسلامية ، واتخذ بعض الناس القرآن وسيلة للتكسب والرزق وجعلوه حرفة لهم كما أن بعض المسلمين لا يقرأون القرآن إلا في المناسبات في المآتم ، أو في الأفراح أو في افتتاح الحفلات لنيل البركة والاجر .

يقول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام « سيجيء أقوام من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » ذكره ابن كثير في فضائل القرآن عن أبي عبيد وذكره الهيتمي في مجمع الزوائد وقال فيه راوٍ لم يسم .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : اقرأوا القرآن قبل أن يأتي أقوام يقيمونه كما يقام السهم يتعجل آخره ولا يتأجله . رواه أبو داوُد . وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله عليه وسلم يقول : من قرأ القرآن فليسأل الله به فإنه سيجي أقوام يقرأون القرآن يسألون به الناس. رواه الترمذي .

فإذا أردنا خيراً لأُمتنا فعلينا اتباع السلف من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفظ القرآن ، وفهمه ، والعمل بما فيه ، ولا يجوز بحال أن تبقى الأُمة جاهلة بكتاب ربها ، معرضة عنه ، ناسية لأَحكامه . والله سائلها ومحاسبها عما ضيعت من كتاب ربها الذي رفعها

الله به مكاناً علياً . وجعلها بالقرآن خير أمة أخرجت للناس .

واننا لم ندخل التاريخ ولم نبن حضارتنا بشعر امرىء القيس وزهير بن أبي سلمى ولا دخلناهما بزعامة أبي جهل وأبي لهب بل دخلنا التاريخ بالقرآن ، وفتحنا الدنيا بالقرآن ، وبنينا حضارتنا بالقرآن ، ودخلنا التاريخ بزعامة محمد عليه الصلاة والسلام وقيادة هذا النبي الإمام الأعظم الذي غير وجه التاريخ وبنى أعظم حضارة انسانية للبشرية وكتابه صلى الله عليه وسلم قادة الدنيا وسادتها وروادها في العلم والعرفان .

فإلى القرآن من جديد نحفظه ، ونفهمه ، ونقيم حدوده ، والله معنا ولن يترنا أعمالنا .

تِلاوَة القُرآن

دنيانا هذه ، في عصرنا هذا ، امتلأت بالهموم ، وكثرت فيها السموم وعمها القلق والضجر وسادها الفساد والبطر . فإذا دهم المؤمن شيء من هذا فعليه بالقرآن فهو الملاذ ، وهو الذي يسكن النفس ويطمئن القلب ويبعث في الروح السكينة والاطمئنان . وهو الشافع المشفع ، وهو العروة الوثقى وحبل الله المتين .

(الذين آمنوا وتَطْمَئِنُّ قُلوبهُم بذكْرِ اللهِ ، ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلوبُ) ومن حق القرآن عليك أيها المسلم أن تتلوه وأن تجعل لك منه ورداً يومياً لا يقل عن جزء ، واحرص ألا تختم في أكثر من شهر ولا في أقل من ثلاثة أيام .

فقد ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اقرأ القرآن في شهر قلت: اني أجد قوة قال: فاقرأه في سبع، ولا تزد على ذلك » رواه الامام البخاري.

فعليك أيها المسلم أن ترعى هذا الحق من حقوق كتاب الله وقد هداك الله اليه ووفقك لمعرفة قراءته وهو نور الله والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: « اذا أراد أحدكم أن يحدث ربه فليقرأ القرآن » وأية منزلة هذه التي بوأك الله اياها أن تحدث ربك. وأنت تقرأ كتابه العظيم المنزل. وهذا الكتاب العظيم من جعله أمامه وإمامه. قاده إلى الجنة. ومن جعله وراءه ساقه إلى النار.

ورسولنا الحبيب محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام وعليه نزل ومع ذلك فقد أمره ربه بأن يتلو القرآن. قال تعالى (إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذه الْبَلْدَة الَّذي حَرَّمَها وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وأُمِرْتُ أَنْ أَكونَ مِنَ الْمُسْلِمينَ، وَأَنْ أَتْلُوَ ٱلْقُرْآنَ...).

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي

موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها حلو ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها » رواه البخاري .

وورد أيضاً مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن فالايمان معتبر في القسم الأول بدليل مقابلته بالفاجر في القسم الثاني .

فاختر لنفسك منزلة المؤمنين وكن في زمرتهم . واقرأ القرآن فقراءته نور وبركة وسكينة ورحمة وهو ربيع القلوب ونور البصائر والأبصار وشفاء ورحمة (وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ) .

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم إني عبدك وابن عبدك وأَمَتِكَ ، ناصيتي في يدك ، ماضٍ فيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فيَّ قضاؤك ، أسألك اللهم بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من

خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي ، وغمي ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

واسمع أيها المسلم لقول الحق تبارك وتعالى :

(إنَّ الَّذينَ يتْلونَ كِتابَ اللهِ وأقاموا الصلاةَ ، وأنْفَقوا مِما رزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجونَ تِجارةً لَنْ تَبور) .

فاحرص أن تتلو كتاب الله وأن يكون لك فيه ورد يومي منتظم ومتواصل فهو نور ربك في الدنيا ، وذخر لك في الآخرة . ولذلك فهو التجارة الرابحة التي لن تبور . والله معك ما دمت معه عز وجل .

آداب تلاوة القرآن

القرآن العظيم كتاب الله الخالد ، ودستوره الماجد . فإذا تلوته وقرأت فيه ، فاعرف من تخاطب واعرف من تحدث !! إنك تخاطب رب العالمين ، وتحدث خالقك وخالق الناس أجمعين . وتقرأ كلام إلـه الكون . ومَنْ بيده ملكوت السموات والأرض ومن إليه يرجع الأمر كله . ألا له الخلق والأمر .

ولتلاوة القرآن آداب وها أنا ذاكر لك بعضها وأوصيك ونفسي بها وبتقوى الله عز وجل فهي جماع كل خير .

١ ـ إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستحضر قلبك وخذ

المصحف بانشراح وسرور . وأشعر قلبك هيبة ربك ، وقد علمت حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام : « اذا أراد أحدكم أن يُحَدِّثَ ربه فليقرأ القرآن . فانظر من تحدث . إنه رب العالمين وكفى به هادياً ونصيراً وقديراً .

٢ ـ إذا قرأت فاقرأ بسكينة ، وأناة ، وتَفَكُّرٍ ، وتَدَبُّرٍ ، وصَبْرٍ ، واستجابة واسمع لما رواه الامام مسلم رحمه الله في صحيحه عن حذيفة قال : « صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح بالبقرة ، فقلت يركع عند المائة . ثم مضى فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ثم المائدة قرأها يقرأ ترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر سؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ » والاعتناءُ بالتدبر والتأمل في الآيات والوقوف عند معانيها وترديدها كانت من سنة النبي وسنة السلف من الصحابة والتابعين .

٣ ـ قبل أن تقرأ استعذ بالله من الشيطان الرجيم . عند ابتداء القراءة لقوله تعالى : (فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ باللهِ مِنَ الشَيْطانِ الرَّجيمِ) .

ثم سم الله عز وجل واقرأ البسملة : بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيمِ .

٤ ـ إذا مرت بك آية « وَعْدٍ » وأنت تقرأ . فقف عندها واسأل الله عز وجل من فضله وأن يجعلك مع زمرة الذين وعدهم الله خيراً .

وإذا مررت بآية « وعيد » فقف عندها قليلاً بالطبع ، واستجر بالله العلي الكبير من هذا الوعيد الشديد .

٥ ـ تجنب في قراءة القرآن مواطن اللغو ، واللغط ، ومجمع السفهاء ، وفي الأسواق لا تحسن القراءة عند البيع والشراء ، كما لا تحسن القراءة في ملاعب الرياضة ومواطن اللهو . ويجب بصورة عامة أن ننزه كتاب الله عن كل موطن لا تليق القراءة فيه .

٦ ـ يستحب تحسين الصوت بالقرآن والترنم به ، والتغني به عند قراءته ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس صوتاً . كما قال البراءُ بن عازب « كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في العشاء في إحدى

الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه » أخرجه البخاري ومسلم .

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : زينوا القرآن بأصواتكم كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث أبي هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به » .

وإذا كان الترنم والتغني قد شرعا في القراءة بنص الأحاديث الصحيحة فإن من السنة أن يختار الترنم بصوت حزين يدل على الخشوع وتأثر القلب ، وعليه أن يتجنب ألحان المحترفين وألحان المطربين الذين عدهم الفقهاء والعلماء من أهل الفسق والكبائر والمؤمن الصادق يغلبه البكاء في قراءة القرآن وتأخذه رعدة الخشوع والخضوع لله رب العالمين ، وكان البكاء عند قراءة القرآن صفة السلف الصالح من الصحابة والتابعين قالت عائشة رضي الله عنها : كان أبو بكر إذا قرأ القرآن كثير البكاء . وذكر الإمام النووي أن عمر بن الخطاب قرأ سورة يوسف

في صلاة الصبح وبكى حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف.

وذكر الله عز وجل من صفات المؤمنين قال تعالى :

(إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ايَاتُ الرَّحْمَنِ خَرّوا سُجَّداً وَبُكِيّا) .

وقال تعالى :

(ويَخِرُّونَ لِلأَذْقانِ يَبْكونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشوعاً) وقال عز وجل :

(وَإِذَا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ عَلى الرَّسولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تُفيضُ منَ الدَّمْعِ)

٧ - يستحب الاجتماع في القراءة كلما أمكن ذلك ، وذلك لما رواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة . وذكرهم الله فيمن عنده » .

وإذا حققنا هذه الآداب في تلاوة القرآن العظيم تحقق لنا الأجر العظيم وتحقق بذلك التدبر بمعاني القرآن والتفكر فيها وذلك هو المقصود الأول منها كما قال تعالى : (كِتابٌ أنزَلْناهُ إلَيْكَ مُباركٌ لِيَدَّبَّروا آياتِه وَليتَذَكَّرَ أُولُوا الألْبابِ) .

●

الآباءُ المتوّجُونْ

هل تعلم أيها الأب الكريم : أنك إذا علمت أولادك القرآن العظيم وحرصت على اتقانهم لكتاب ربهم وحببته اليهم جئت يوم القيامة « متوجاً » بتاج الفخار وتاج الوقار الذي سيختاره لك رب العزة وقد بشرك بذلك ونقل الخبر اليك من لا ينطق عن الهوى نبي الرحمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « من علم أولاده القرآن يجيءُ يوم القيامة متوجاً » وأية بشرى أعظم من هذه البشرى للاباء الصالحين الذين يربون أولادهم على حب القرآن ، ويؤدبونهم بآداب القرآن ويعلمونهم القرآن وأخلاق القرآن ويقول عليه الصلاة والسلام في حديث آخر : « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم »

وأي أدب أعظم من أدب القرآن فبادروا أيها الآباء إلى تعليم أولادكم القرآن ليقودكم ذلك باذن الله إلى الجنان وتحشرون وفوق رؤوسكم التيجان وفي ذلك وقاية لكم ولأولادكم من النيران قال تعالى: (يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وأَهْليكم ناراً وَقودُها النَّاسُ وَالحِجارَة عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصونَ اللهَ ما أَمرَهمْ ويَفْعَلون ما يؤْمَرون) .

وورد عن معاذ بن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجاً يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا ، فما ظنكم بالذي عمل بهذا ؟ »

رواه أبو داود

القرآن ... في أسبوع القرآن بمكة المكرمة

١٧ رمضان ١٣٩١ هـ

أنواره ، آثاره ... أوصافه ... فضائله ، خصائصه .

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الحق تبارك وتعالى : (كتابٌ أنزلْناهُ اليكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ من الظُّلماتِ إلى النُّورِ بإذنِ رَبِّهِمْ إلى صراط العزيزِ الحميدِ) .

ويقول النبي العظيم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم :

القرآن أفضل من كل شيء دون الله ، وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه ،فمن وقَّر القرآن فقد وقَّر الله ، ومن لم يوقِّر القرآن لم يوقر الله ، وحرمة القرآن عند الله كحرمة الوالد على ولده .

القرآن شافع مشفع وماحل مصدق ، فمن شفع له القرآن شُفِّع ، ومن محل به القرآن صُدِّق ، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنه ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار . وحملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله ، الملبسون نور الله ، المعلَّمون كلام الله ، من والاهم فقد والى الله . ومن عاداهم فقد عادى الله يقول الله تعالى : يا حملة القرآن استجيبوا لربكم بتوقير كتابه يزدكم حبا ويُحبِّبكم إلى عباده . يدفع عن مستمع القرآن بلوى الدنيا ويدفع عن تالي القرآن بلوى الاخرة ، ومن استمع آية من كتاب الله كان له أفضل مما تحت العرش إلى التخوم .. الخ تفسير القرطبي جزء ١٥ ص ٢

---

(١) قال ابن الاثير : ماحل : أي خصم مجادل مصدق .

قال تعالى :

(فَآمِنوا بالله وَرَسُولِهِ وَالنورِ الذي أَنْزَلْنا والله بِما تَعْمَلونَ خَبير).

التغابن

« العالم قبل القرآن »

فيما يروى من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من لم يعرف الجاهلية لم يعرف الاسلام » قيل في الأمثال : وبضدها تتميز الأشياءُ . فمن عرف الجاهلية وما وصلت اليه من انحلال وانحطاط وفساد اوضلال ، عرف عظمة الاسلام وفضل الاسلام عليها ومن لم يعرف حالة العالم قبل نزول القرآن ، لم يعرف عظمة ما صنعه القرآن في هذا العالم كله .

لقد أظلمت الدنيا ، وعمها الفساد ، وسادها الكفر والشرك والضلال ، وأصبحت الإنسانية متدلية منحدرة والانسان في هذا العصر المظلم قد نسي خالقه ، فنسي

نفسه ومصيره ، وفقد رشده ، وقوة التمييز بين الخير والشر والحسن والقبيح ، وقد خفتت دعوة الأنبياء ، والمصابيح التي أوقدوها بشرائع الله قد انطفأت ـ وأصبحت مهود الحضارة والثقافة والعلم والحكم والسياسة مسرح الفوضى والانحلال والاختلال وسوء النظام وعَسْف الحكام ، وشغلت بنفسها لا تحمل للعالم رسالة ولا للامم دعوة ، وأفلست في معنوياتها ، ونضب معين حياتها حتى أصبحت لا تملك مشرعا صافيا من الدين السماوي ، ولا نظاما ثابتا من الحكم البشري .

ولم تكن أمة على وجه الأرض صالحة المظاهر والسرائر . ولا مجتمع واحد قائم على أساس الأخلاق والفضيلة ، ولا حكومة قائمة على أساس العدل والرحمة . ولا دين صحيح مأثور عن الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. لذا عمت الفوضى أرجاء الأرض وسادها الانحلال والفساد .

(١) راجع كتاب الاصنام ص ٣٣ .

أما العرب قبل الاسلام ، فقد انغمسوا في الفساد والوثنية وعبادة الاصنام بأبشع صورها وأشكالها ، حتى ذابت أسس الفضيلة ، وانهارت دعائم الأخلاق ، وأصبح لكل قبيلة أو ناحية أو عشيرة ، صنم خاص تعبده من دون الله .

قال الكلبي : كان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه ، فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به . واذا قدم من سفر كان أول ما يصنع اذا دخل منزله أن يتمسح به أيضا ... واشتهرت العرب في عبادة الأصنام . فمنهم من اتخذ بيتا ، ومنهم من اتخذ صنما ، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت نصب حجرا أمام المسجد الحرام ، وأمام غيره ، مما استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الانصاب(١) وكان في جوف الكعبة ـ البيت الذي بني

---

(١) راجع كتاب الأصنام ص ٣٣ .

لعبادة الله وحده ـ وفي فنائها ثلثمائة وستون صنما ـ وتدرجوا من عبادة الأصنام والاوثان إلى عبادة جنس الحجارة .

روى الامام البخاري رحمه الله عن أبي رجاء العطاردي قال : كنا نعبد الحجر ، فاذا وجدنا حجرا هو خير منه ألقيناه وأخذنا الاخر ، فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به . !

وقال الكلبي أيضا : كان الرجل اذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربا ، وجعل ثلاثاً أسافي لقدره واذا ارتحل تركه .

وكان للعرب كما لغيرهم من الامم آلهة شتى من الملائكة والجن والكواكب وغيرها .

أما من جهة الأخلاق فكانت فيهم أدواء وأمراض متأصلة وكان شرب الخمر واسع الشيوع والذيوع تتحدث عن معاقرتها وشربها الشعراءُ والادباءُ . وكانت حوانيت الخمارين مفتوحة دائما يرفرف عليها علم يسمى « غاية » .

كما كانوا يتعاطون الربا وكان فاشيا فيهم .

أما الزنا فكان من العادات أن يتخذ الرجل خليلات ويتخذ النساء أخلاء بدون عقد . وكانوا قد يكرهون بعض النساء على الزنا . قال ابن عباس : « كانوا في الجاهلية يكرهون اماءهم على الزنا يأخذون اجورهن .

وكان في المجتمع الجاهلي بغايا . كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما فمن أرادهن دخل عليهن . فاذا حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالقافة ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك (١) .

وكانت المرأة بصورة عامة مغبونة تؤكل حقوقها وتبتز أموالها وتورث كما يورث المتاع او الدابة وبلغت كراهة البنات إلى حد الوأد فدفنت البنت وهي حية . وكانت العصبية القبلية والدموية على أشدها كما كان الحرب والغزو مما طبعت عليه أخلاقهم حتى صارت الحرب مسلاة لهم وملهاة قال قائلهم :

---

(١) راجع صحيح البخاري ــ كتاب النكاح ــ باب لا نكاح الابولي .

وأحيانا عـلى بكر أخانا   اذا ما لم نجد الا أخانا

وكانت الحياة كلها شبكة محبوكة من تراتٍ وثارات وأحقاد . وكان الناس يتخطفون من بين عشيرتهم في القوافل . وكان الاستعمار وكان الاستذلال فكان المناذرة والغساسنة عبيداً للروم والفرس وقد أظلمت الدنيا على العرب حتى أصبحوا في أتعس وأخس الحالات الاجتماعية والاخلاقية والسياسية والدينية ، وقد أصبحت الأرض بحق في أمس الحاجـة إلى نور ينبثق وصبـح يشرق ليبدد هذه الظلمات وينقذ الناس منهـا . وصـدق الله اذ يقول :(كِتابٌ أنْزَلْنَاهُ إلَيْكَ لِتُخْرِجَ الناسَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِم إلى صِراطِ العَزيزِ الحَميد) .

وفي هذا الخبر الذي يرويه الطبري ما يكفي ويشفي لبيان حالة العرب التي كانوا عليها قبل الاسلام : فقد روى الطبري بسنده عن قتادة في تفسير قوله تعالى : (وكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّار فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها) . الآية ـ قال : كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلاً ، وأشقى الناس عيشاً ، وأبينه ضلالاً ، وأعراه جلود ، وأجوعه

بطوناً . على رأس حجر بين الأسدين فارس والروم - لا والله ما في بلادهم يومئذٍ من شيء يحسدون عليه . من عاش منهم عاش شقياً ، ومن مات ردي في النار . يؤكلون ولا يأكلون . والله ما نعلم قبيلاً يومئذٍ من حاضر الأرض كانوا فيها أصغر حظاً وأرق شأناً منهم - حتى جاء الله بالإسلام فورثكم به الكتاب وأحل لكم الجهاد ، ووضع لكم به الرزق وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس . وبالاسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا الله على نعمه فان ربكم يحب الشاكرين ، وان أهل الشكر في مزيد من الله تعالى . فتعالى ربنا وتبارك .

انتهى

أما أوروبا

أما أوروبا في تلك الحقبة من الزمن التي سبقت نزول القرآن فقد كانت الامم الاوربية المتوغلة في الشمال والغرب تتسكع في ظلام الجهل المطبق والامية الفاشية ، والحروب الدامية ، ولم ينبثق فيها فجر الحضارة و العلم بعد . وكانت بمعزل عن جادة قافلة الحضارة الانسانية ، بعيدة عنها لا تعرف عن العالم شيئا . ولا يعرف عنها العالم المتمدن الا قليلا . وكانت بين نصرانية وليدة ، ووثنية شائبة ولم تكن بذات رسالة في الدين ولا بذات راية في السياسة ولا علم ولا فهم ولا دراية . يقول الاستاذ العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي حفظه الله في كتابه ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

يقول المؤرخ الغربي : لقد أطبق على أوروبا ليل حالك من القرن الخامس إلى القرن العاشر ، وكان هذا الليل يزداد ظلاما وسوادا قد كانت همجية ذلك العهد أشد هولا وأفظع من همجية العهد القديم لأنها كانت أشبه بجثة حضارة كبيرة قد تعفنت ، وقد انطمست معالم هذه الحضارة وبلغت أوجها في الماضي ، كايطاليا وفرنسا فريسة الدمار والفوضى والخراب .

ماذا خسر العالم ص ٣٥

وأما الأديان ...

فيقول الاستاذ الندوي في نفس المصدر ص ٢٨٠
أصبحت الديانات العظمى فريسة العابثين والمتلاعبين ولعبة المحرفين والمنافقين . حتى فقدت روحها وشكلها . فلو بعث أصحابها الأولون لم يعرفوها ، وأصبحت مهود الحضارة والثقافة والحكم والسياسة مسرح الفوضى والانحلال والاختلال وسوء النظام . وعَسْف الحكام وشغلت بنفسها لا تحمل للعالم رسالة ولا للامم دعوة . وأفلست في معنوياتها ونضب معين حياتها - لا تملك مشرعا صافيا من الدين السماوي ، ولا نظاما ثابتا من الحكم البشري .

ثم يقول حفظه الله :

ولم تكن المسيحية في يوم من الأيام من التفصيل والوضوح ومعالجة مسائل الانسان بحيث تقوم عليها حضارة ، أو تسير في ضوئها دولة . ولكن كان فيها آثار من تعاليم المسيح وعليها مسحة من دين التوحيد البسيط ، فجاء بولس فطمس نورها وطعمها بخرافات الجاهلية التي انتقل منها والوثنية التي نشأ عليها وقضى قسطنطين على البقية الباقية حتى أصبحت النصرانية مزيجاً من الخرافات اليونانية والوثنية الرومية ، والافلاطونية المصرية والرهبانية .

اضمحلت في جنبها تعاليم المسيح البسيطة كما تتلاشى القطرة في اليم . وعادت نسيجا خشبيا من معتقدات وتقاليد لا تغذي الروح ولا تنير العقل ولا تشعل العاطفة ولا تحل معضلات الحياة ولا تنير السبيل بل أصبحت بزيادات الحرفيين ، وتأويل الجاهلين ، تحول بين الانسان والعلم والفكر وأصبحت على تعاقب العصور ديانة وثنية يقول : « Sale » مترجم معاني القرآن إلى الانكليزية عن نصارى

القرن السادس الميلادي : وأسرف المسيحيون في عبادة القديسين والصور المسيحية حتى فاقوا في ذلك الكاثوليك « في هذا العصر » .

ثم ثارت حول الديانة وفي صميمها مجادلات كلامية وسفسطة من الجدل العقيم ، شغلت فكر الامة واستهلكت ذكاءها وابتلعت قدرتها العلمية ، وتحولت في كثير من الاحيان حروبا دموية . وقتلا وتدميرا وتعذيبا واغارةً وانتهابا واغتيالا . بل انتقلت من أديان توحيد إلى وثنية ظلماء وشركية عمياء وكان القرن السادس والسابع لميلاد المسيح عليه السلام من أحط أدوار التاريخ قاطبة حتى أصبحت الانسانية متدلية منحدرة ساقطة في هوة لا يعلم مداها الا الله العزيز الجبار .

لقد أصبحت الأرض في حاجة ماسة إلى رسالة جديدة اذ ان الفساد قد عمّ أرجاءها كلها ، بحيث لا يرتجى لها صلاح الا برسالة جديدة ومنهج جديد وحركة جديدة وكان الكفر قد تطرق إلى عقائد أهلها جميعا سواء أهل الكتاب الذين عرفوا الديانات السماوية من قبل ثم حرفوها

وغيروها ، او المشركون في الجزيرة العربية أو في خارجها سواء بسواء . وما كانوا لينفكوا ويتحولوا عن هذا الكفر الذي صاروا اليه الا بهذه الرسالة الجديدة رسالة الاسلام ، رسالة القرآن ، رسالة الحق ، رسالة البرهان، رسالة الله العظيم

وصدق الله العظيم اذ يقول (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ وَالمُشْرِكينِ مُنْفَكِّين حتَّى تَأْتِيَهمُ البَيِّنَةُ . رَسولٌ مِنَ اللهِ يَتْلو صُحُفاً مُطَهَّرةً فيها كُتُبٌ قَيِّمةٌ) .

« سورة البينة »

فجاء هذا النبي الكريم عليه صلوات الله وسلامه وكان هو الحجة والبينة ، وأنزل القرآن فأطلع الله به صبح الرشاد وتلاه النبي صلى الله عليه وسلم صحفا مطهرة فيها كتب قيمة . وبدأ النور يسري ويبدد الظلمات وانطلقت دعوة الحق . وعلا صوت الايمان ،

ونزلت آيات الرحمن في القرآن :

لتجدد عهدا ، وتبني مجدا ، وتؤسس حضارة انسانية

تبقى على طول الزمن . أساسها العدل ، وسلوكها الفضل ، كل الفضل في أقوالها وأعمالها ، وركنها التوحيد والوحدة في أمة واحدة تحت لواء واحد هو لواء الاسلام :

ونزلت آيات الرحمن في القرآن :

لتهدم كفرا ، وتزيل شركا ، وتقتلع ظلما وتنقذ إنسانية عاثرة استبد بها الطغاة ، ولفها الظلام بردائه الاسود فسارت عمياء كالبهيمة العجماء لا ترفع رأسا ولا تدرك حسا .

ونزلت ايات الرحمن في القرآن :

فكانت ضياء وكانت نورا وبرهانا . وحملت معها عناصر النماء والبقاء والضياء وكانت رحمة للعالمين . حملها المؤمنون فأعزهم الله بها ، وكانوا ضلالا فهداهم الله بها ، وكانوا عالة فأغناهم الله بها عصمة لمن تمسك بها ونجاة لمن اتبعها . ثم وفقهم الله فحملوها إلى الناس صافية نقية يهدون بها الضال وينقذون بها البشرية من عبادة العباد إلى عبادة الواحد الاحد رب العباد وخالق

الناس ومن جور الاديان المحرفة إلى عدل الاسلام الحق المبين ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن الوثنية القذرة إلى طهارة الاسلام وضياء الاسلام .

ونزلت آيات الرحمن فكانت

هذا : القرآن ،

●

أوصاف القرآن وفضائله

القرآن العظيم : كتاب الله الخالد . ودستوره الماجد ، وحجته البالغة على العالمين . كتاب ختم الله به الكتب ، وأنزله على رسول ختم به الرسالات ، بدين عام شامل كامل ختم به الاديان . فهو دستور الخالق لإصلاح الخلق وهو رسالة السماء إلى الأرض وقانون السماء لنظام الأرض. أنهى الله اليه كل تشريع . وأودعه كل نهضة وناط به كل سعادة ورخاء للامم والافراد والاسر والجماعات .

والقرآن العظيم : حجة الرسول الامين صلى الله عليه وسلم وآيته الكبرى يقوم في فم الدنيا شاهداً برسالته ناطقا بنبوته ، دليلا على صدقه وأمانته . وهو القوة

المحولة العجيبة التي غيرت وجه التاريخ . ونقلت حدود الممالك المتعددة فتقاصرت وتقاربت وكون منها الامة الواحدة ، وأنقذت الانسانية العاثرة فكأنما خلقت الوجود خلقا جديدا .

والقرآن العظيم : ملاذ الدين الاعلى ، وكتابه الاقدس ، يستند اليه الاسلام في عقائده ، وعباداته ، وحكمه ، وأحكامه ، وآدابه وأخلاقه وقصصه ، ومواعظه ، وعلومه ومعارفه . بل وفي كل شأن من شؤون هذا الاسلام العظيم فقد نزل كتابه تبيانا لكل شيء .

والقرآن العظيم : عماد لغة العرب الاسمى ، تدين له اللغة في بقائها ونقائها وصفائها وسلامتها وتستمد منه علومها وفنونها على كثرتها وتنوعها . وبه شرفت وفاقت سائر اللغات في أساليبها ومادتها .

والقرآن العظيم : آية الله الكبرى ، ولكنه لا كالآيات ومعجزة لا كالمعجزات . وهو نور لا كالأنوار .وسر لا كالأسرار . انه كلام الله العظيم الحي القيوم الذي بيده

مقاليد السموات والأرض وهو على كل شيء قدير .

والقرآن العظيم : هو المعجز للناس بلفظه ونظمه وأسلوبه وهدايته وتأثيره وعلومه . أعجز الفصحاء والبلغاء . وأخرس الادباء والشعراء وتحدى الانس والجن على أن يأتوا بسورة من مثله . فلم يُحِرْ أحدٌ منهم جوابا ولاذوا بالصمت والفرار .

وحتى الرسول الاعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الذي نزل عليه القرآن لم يكن في استطاعته أن يأتي بسورة من سوره قصيرها أو طويلها بكسبه ولا بمواهبه العظيمة . بل فيه آيات صريحة ناطقة بأنه صلى الله عليه وسلم ، كان يعجز كغيره من الناس عن الاتيان بمثله وهو ما أمره الله تبارك وتعالى أن يقوله للناس في تحديه اياهم ، واستدلاله على نبوته ورسالته وهو قوله تعالى :

(وَإذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذينَ لا يرْجونَ لِقاءَنا ائتِ بقرآنٍ غيرِ هذا أَو بَدِّلْهُ . قُلْ ما يَكُونُ

لي أنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلقاء نَفْسي . إنْ أتبِعُ إلاَّ ما يُوحى إلي إني أخافُ إنْ عَصيتُ ربي عَذَابَ يَومٍ عَظيم . قُلْ لَوْ شاء الله ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكم ولا أدراكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثتُ فيكُمْ عُمُرا من قَبْلِهِ أفلا تَعْقِلُونَ) . (يونس – ١٥–١٦)

والقرآن العظيم : في سلاسته ورقته يأخذ بالألباب في نظمه وأسلوبه المدهش العجيب ما هو بنظم واحد . ولا في اسلوب واحد . انه مائة وأربع عشرة سورة منها ما يربو على المائة والمائتين في عدد آياته . ومنها العشر ومنها السبع ومنها الثلاث . ثم هذه الايات قد اختلفت طولا وقصرا ومقاطع وفواصل ، منها متفق الفواصل ومنها المختلف وهي على ما بها من تشابه وتوافق قد اتحدت في اشتمالها على المعاني العالية . والحكم السديدة الغالية . من صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى وآياته في الانفس والافاق . والحكم والاداب والمواعظ والامثال والقصص والاخبار . وقد تقاصرت عن بلاغة القرآن بلاغة البلغاء وقعدت عنه فصاحة الفصحاء (١) .

---

(١) راجع كتاب مناهل العرفان للشيخ الزرقاني رحمه الله .

الوليد يصف القرآن

وقد وصف القرآن العظيم أحد أعداء القرآن من كبار المشركين وكان وصفا دقيقا صادقا والفضل ما شهدت به الاعداء . فقد أخرج الحاكم في دلائل النبوة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ان الوليد بن المغيرة المخزومي وهو أحد رؤساء قريش جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن . فكأنه رق له ـ وقال : يا عجبا لما يقول ابن أبي كبشة « يعني محمدا صلى الله عليه وسلم » فوالله ما هو بشعر . ولا سحر ولا بهمز من الجنون ، وان قوله لمن كلام الله فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا : والله لئن صبا الوليد لَتَصبُونَّ قريش . فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال : انا والله أكفيكم شأنه

فانطلق حتى دخل عليه بيته . فقال : يا عم ، ان قومك يريدون ان يجمعوا لك مالا ليعطوكه. فانك أتيت محمداً لتعرض لما قبله . قال : قد علمت قريش اني من أكثرها مالا . قال : فقل فيه قولا يبلغ قريشا انك تنكر له . فقال : وماذا أقول : فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ، لا برجزه . ولا بقصيده . ولا بأشعار الجن . والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئا من هذا . والله ان لقوله الذي يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله وانه ليحطم ما تحته ، وانه ليعلو وما يعلى عليه .

فقال أبو جهل : والله ما يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال : فدعني أفكر . فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر . يأثره عن غيره . فخرج على قومه بهذا القول الآثم الغاشم الجهول فأنزل الله عز وجل فيه قوله تبارك وتعالى :

« ذَرْني ومَنْ خلَقْتُ وَحيداً . وَجعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدوداً . وبَنَينَ شُهوداً ... ومَهَّدْتُ لَهُ تَمْهيداً ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزيدَ

كلاَّ إنَّهُ كانَ لآياتِنا عنيداً . سأُرْهِقهُ صُعوداً . إنَّهُ فكَّرَ وقدَّرَ فَقتِلَ كَيْف قدَّرَ . ثمَّ قتِلَ كَيْفَ قدَّرَ ثمَّ نَظرَ ـ ثمَّ عَبَسَ وبَسَرَ ثمَّ أدْبَرَ واستَكبرَ فَقال : إنْ هذا الاَّ سِحْرٌ يُؤثَرُ ، إنْ هذا إلاَّ قولُ البَشَرِ سَأُصْليهِ سَقَرَ ـ وما أدْارك ما سَقَرُ لا تُبْقي ولا تَذَرُ لَوّاحَةٌ لِلْبَشَرِ عَليْها تِسْعَةَ عَشَرَ) .

« سورة المدثر »

●

النبي العظيم يصف القرآن

ومما ورد من كلام النبوة الانور في صفة القرآن العظيم قول النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله أنزل هذا القرآن ـ آمرا وزاجرا ـ وسنة خالية ومثلا مضروبا ـ فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ـ ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم ، لا يخلقه طول الرد ، ولا تنقضي عجائبه .

هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فلج ، ومن قسم به أقسط ، ومن عمل به أجر ، ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ، ومن حكم بغيره قصمه الله . هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط

المستقيم وحبل الله المتين ، والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه . لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد . وفي الحديث القدسي قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :

« إني منزل عليك توراة حديثه ، تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما . وقلوبا غلفا . فيها ينابيع العلم ، وفهم الحكمة ، وربيع القلوب ». ومما رواه الحاكم في المستدرك وصححه البيهقي من حديث ابن مسعود مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم :

« ان هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم . ان هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن رتله . لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم – ولا يخلق عن كثرة الرد . فاتلوه فان الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات اما اني لا اقول : الم . حرف « أَلفٌ حرف . ولام حرف . وميم حرف .

مكانة القرآن

وروى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

«يقال لقارىء القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند اخر آية تقرؤها » روي عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

لا يعذب الله قلبا وعى القرآن .

وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ان لله أهلين من الناس حملة القرآن هم أهل الله وخاصته .

وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه

وسلم انه قال :

من تعلم القرآن وحفظه أدخله الله الجنة ، وشفعه في عشرة من أهل بيته كل قد استوجب النار وما بالكم بكتاب في سورة واحدة من سوره ألف أمر وألف نهي وألف حكم وألف خبر .

قال ابن العربي رحمه الله فيما ذكره الامام القرطبي في تفسيره :

ان سورة البقرة فيها : الف امر ، والف نهي ، والف حكم ، والف خبر . أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة وفيها آية هي سيدة آي القرآن – آية الكرسي – وان الشيطان ليفر من البيت الذي تقرأ فيه.

وأخرج الامام مالك في الموطأ ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مكث على سورة البقرة ثمان سنين يتعلمها .

نور القرآن

(فَآمِنوا باللهِ وَرَسولِهِ والنورِ الذي أنْزَلنا .)

هذا هو كتاب الله الذي نزل ليكون للعالمين نذيرا ، وقد فتح الله به أعينا عميا ، وآذانا صما وقلوبا غلفا . وهو قبس من نور الله العظيم استضاء به من شرح الله له صدره . وفتح له بصره وقلبه وضل عنه أناس أغمضوا دون نوره عيونهم ، وأقفلوا دون هدايته أبواب قلوبهم فضلوا السبيل وتاهوا في بيداء الغواية والجهالة والعماية . فهمه السلف الصالح ، فكانوا به خير أمة اخرجت للناس وجهله الخلف الطالح فصاروا من بعده أذل امة عاشت بين الناس .

قال الله تبارك وتعالى في صفة القرآن وآثار القرآن ونور القرآن :(اللهُ نَزَّلَ أَحسَنَ ٱلحَديثِ كِتاباً مُتَشَابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلودُ الذينَ يَخشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلينُ جُلُودُهُمْ وَقُلوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللهِ ، ذلِكَ هُدَى اللهِ يَهدي بِهِ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِنْ هادٍ)« الزمر ـ٢٣ » فهو بشهادة الحق تبارك وتعالى أحسن الحديث وهو الذي تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم . ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وهو هدى الله عز وجل يهدي به من يشاء من عباده وأما الذين يصدفون عن آيات الله ويتركونها وراء ظهورهم فقد قال الله فيهم : (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَنْ كَذَّبَ بآياتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْها . سَنَجْزي الَّذينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آياتِنا سوءَ العَذابِ بِما كانوا يَصْدِفونَ) .

« الانعام ــ ١٥٧ »

ويقول الحق تبارك وتعالى :(لَوْ أَنْزَلنا هذا القُرآنَ على جبلٍ لرأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ)« الحشر » .

تلاه السلف الصالح بشوق وايمان ، فكان لهم فيه حنين وأنين ونشيج وبكاء . ولقد عاشوا به سعداء وكانوا في رحاب الله أعلياء ولقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه . وأخلصوا دينهم لله . وخلصت نياتهم وزكت نفوسهم وطهرت قلوبهم . وحسنت أعمالهم واستقروا على نهج الاستقامة وباعوا أنفسهم لله . وأحبوا ما عند الله . حتى اشتاقوا إلى لقائه عز وجل فاستطالوا الحياة واستبطاؤا الشهادة ، أملا بما عند الله ، وما عند الله خير للابرار وكان أحدهم يسرع إلى الله في الشهادة وهو يقول : وعجلت اليك ربي لترضى .

سيماهم في وجوههم من أثر السجود . فكان في قلوبهم النور وفي وجوههم الضياء والحبور ، رحماءُ بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا .

عاشوا في القرآن وللقرآن ، وعاشوا في القرآن بأخلاقهم وادابهم وعقائدهم وتعلمهم و- كمهم وحربهم وسلمهم يهتدون بهديه ، ويستنيرون بنوره ، ويستنون بسنته .

سئلت عائشة رضي الله عنها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن .

وعاشوا للقرآن في جهادهم وحربهم والذبّ عن كتاب الله ودعوة الله ، ونشر أحكامه وآدابه وعقائده بين الناس ففي يد مصحف يدعو إلى السلم ويضيء للناس سبيل الهداية والرشاد . وفي يد سيف يحمي دين الله ويصد عنه الاذى ويرهب به العدى .

والقرآن يناديهم ليحكموا بين الناس بالعدل ، وليمسكوا بزمام الدنيا فتأتيهم وهي صاغرة ويكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم شهيدا .

●

شهادة النبي صلى الله عليه وسلم

حدث فضل عن يونس بن محمد بن فضالة عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم في بني ظفر وهم بطن في الانصار وبني سليم - فجلس على الصخرة التي في بني ظفر ومعه ابن مسعود ومعاذ وناس من أصحابه فأمر قارئا يقرأ حتى اذا أتى على هذه الاية : (فَكَيْفَ اذا جِئْنا مِنْ كلِّ أُمَةٍ بِشهيدٍ وَجِئْنا بِكَ على هؤلاءِ شَهيدا) بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اخضلت وجنتاه فقال : « يا رب هذا على من أنا بين ظهرانيهم فكيف من لم أرهم » القرطبي .

وفي ابن كثير : « هذا شهدت على من أنا بين ظهرانيهم فكيف بمن لم أرهم » .

فالرسول صلى الله عليه وسلم شهيد على امته يوم القيامة . وامته الاسلامية جعلها الله شهيدة على الناس اذ حملها الدعوة سبحانه وتعالى وأعطاها القيادة والريادة وأنزل عليها كتابه العظيم وجعلها به خير أمة أخرجت للناس تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

ووعدها العز والنصر والاستخلاف في الأرض وتمكين مبادئها وسيادة عقائدها والامن والسلام في ربوعها ان هي صدقت مع الله عز وجل وجاهدت في الله حق جهاده قال تعالى :(وَعَدَ اللهُ الذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلوا الصالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم في الأَرْضِ كَما اسْتَخْلَفَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمكِّنَنَّ لهُمْ دِينَهُمْ الذي ارْتَضى لَهُمْ . وَلَيُبْدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوفِهِمْ أَمْنا . يَعْبُدونَنِي لا يُشْرِكُون بي شَيْئا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمْ الفاسِقونَ) «النور-٥٥»

فآمنت هذه الامة الاسلامية برسالة ربها وجاهدت وصدقت مع الله عز وجل ، فصدق الله فيهم وعده وعهده واستخلفهم على الارض . ومكن لدينهم ومبادئهم الحقة

ووهبهم الامن والرخاء حتى أصبح أتباع هذا القرآن خلفاء الأرض ، تنقاد لهم الملوك والاقيال . وتطلب رضاهم الفطاحل من الرجال . وأصبحت المدينة المنورة عاصمة الخلافة الاسلامية مطمح الانظار وقبلة القصاد من الامصار .

ولقد حكى الطبري دخول الهرمزان المدينة المنورة ومواجهته لرجل من رجال القرآن ، وممن تربوا على القرآن وعاشوا في القرآن وللقرآن وهو عمر بن الخطاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشد الامين ، والهرمزان كان ملك الاهواز المبجل فقد جاء في الجزء الرابع صفحة (٢١٧) من تاريخ الطبري قال : هيئوا الهرمزان في هيئته فألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب ووضعوا على رأسه تاجا يدعى الاذين مكللا بالياقوت وعليه حليته كيما يراه عمر والمسلمون في هيئته . ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر في منزله فلم يجدوه . فسألوا عنه . فقيل جلس في المسجد لوفد قدموا عليه من الكوفة . فانطلقوا يطلبونه في المسجد فلم يروه . فلما انصرفوا مروا بغلمان من أهل المدينة يلعبون فقالوا لهم : ما تلددكم ؟ تريدون أمير المؤمنين ؟ فانه نائم في ميمنة

المسجد متوسدا برنسه .. ! وكان عمر قد جلس لوفد من أهل الكوفة في برنس فلما فرغ من كلامهم وارتفعوا عنه واخلوه نزع برنسه ثم توسده فنام . فانطلقوا ومعهم النظارة . حتى اذا رأوه جلسوا دونه وليس في المسجد نائم ولا يقظان غيره والدرة في يده معلقة فقال الهرمزان : أين عمر ؟ فقالوا : هوذا .. ! وجعل الوفد يشيرون إلى الناس ان اسكتوا عنه . وأصغى الهرمزان إلى الوفد فقال : أين حرسه وحجابه عنه ؟ فقالوا : ليس له حراس ولا حجاب ولا كاتب ولا ديوان . قال : فينبغي له أن يكون نبيا . قالوا : بل يعمل عمل الأنبياء .

كثر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالسا ثم نظر إلى الهرمزان فقال : الهرمزان ؟؟ قالوا : نعم . فتأمله وتأمل ما عليه وقال : أعوذ بالله من النار واستعين بالله . وقال : الحمد لله الذي أذل بالاسلام هذا وأشياعه يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين واهتدوا بهدي نبيكم ولا تبطرنكم الدنيا فانها غرارة . فقال الوفد : هذا ملك الاهواز فكلمه . فقال : لا . حتى لا يبقى عليه من حليته شيء فرمى عنه كل شيء عليه الا شيئا يستره . وألبسوه

ثوبا صفيقا فكلمه عمر رضي الله عنه .. انتهى .

هكذا عز المسلمون وسادوا وأصبحت الملوك تنقاد لهم حينما عاشوا على القرآن وللقرآن وصدقوا ما عاهدوا الله عليه . وكانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في في وجوههم من أثر السجود .

وهذا ما شهد لهم به رب العزة وهو تاج الفخار لهم إلى أبد الابدين قال تعالى في سورة الفتح :

(مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ وَالَّذينَ مَعَهُ أَشَدّاءُ عَلى الكُفّارِ رَحمَاءُ بَينَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّدا يَبْتَغونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْواناً سِيماهُمْ في وُجوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجودِ . ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَوْراةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإنْجيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فاستَغْلَظَ فَاستَوى عَلى سوقه . يُعْجِبُ الزُّرّاعَ لِيغيظَ بِهِمُ الكُفّارَ . وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغفِرَةً وَأَجراً عَظيماً) .

« الفتح – ٢٩ »

هؤلاء هم تلاميذ القرآن والذين عاشوا على القرآن وتخرجوا من مدرسة النبوة . وهم مصابيح الدجا واعلام الهدى ركع سجد لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا وكانوا في العالمين هداة مهديين صالحين رضي الله عنهم وأرضاهم.

●

فضائل أمة القرآن

لقد أعلى الله شأن هذه الأمة الاسلامية فأنزل فيها كتابه وبعث فيها رسوله الامين محمدا صلى الله عليه وسلم وجعلها خير أمة أخرجت للناس . وجعلها بهذه الرسالة وبهذا القرآن العظيم شاهدة قائدة رائدة سيدة الامم ورافعة لواء العلم والعرفان والحضارة وفضلها وميزها بفضائل من الخير لم تكن لغيرها من الامم وشهد لها بذلك كتاب الله العظيم الذي نزل ليكون للعالمين بشيرا ونذيرا . واسمعوا لايات من كتاب الله في فضائل هذه الامة الاسلامية قال الامام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتابه فنون الأفنان في عيون علوم القرآن صفحة ١٢٢ .

ذكر بعض القدماء ان الله عز وجل وصف أمة محمد صلى الله عليه وسلم بثلاثين وصفا ـ عشرة أوصاف منها أوصاف ابراهيم الخليل . وعشرة أوصاف منها أوصاف موسى الكليم . وعشرة أوصاف منها أوصاف محمد الحبيب صلى الله عليهم وسلم أجمعين . فسوى بينهم وبين الخليل والكليم والحبيب في تلك الأوصاف فأما أوصاف الخليل فانه قال في حق الخليل : (وَلَقَدْ اصْطَفَيناهُ في الدُّنيا) وقال لهذه الامة: (ثُمَّ أورَثْنا الكِتابَ الَّذينَ اصْطَفَيْنا).

الوصف الثاني : انه قال للخليل : (شاكِراً لانْعُمِهِ اجْتَباهُ) . وقال لهذه الامة : (هُوَ اجْتَباكُمْ)

والثالث انه قال للخليل : (وَإنَّهُ فِي الاخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحينَ)

وقال لهذه الامة : (يَرِثُها عِبادِيَ الصالِحونَ) .

والرابع انه قال للخليل : (وهَدَاهُ إلى صِراطٍ مُستَقيمٍ) .

وقال لهذه الأُمة : (وَأَنْ الله لَهادي الذينَ آمَنوا إلى

صِراط مُستَقيمٍ) .

والخامس : انه قال للخليل : (سَلامٌ عَلى إبراهيم) .

وقال لهذه الامة : (وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الذينَ إصْطَفى).

والسادس : أنه قال للخليل : (سلام على إبراهيم) .

وقال لهذه الامة : (كُنْتُمْ على شَفا حُفْرةٍ مِن النارِ فانْقَذَكُمْ مِنْها .)

والسابع : انه قال للخليل :(إنَّه مِنْ عِبادِنا المؤْمِنينَ).

وقال لهذه الامة : (قُلْ لِعبادي الذينَ آمنوا) .

والثامن انه قال للخليل : (وَتُبْ عَلينا) .

وقال لهذه الامة : (وَيَتوبُ اللهُ عَلى المؤْمِنينَ) .

والتاسع : انه قال للخليل : (رَبّنا تَقبلْ مِنّا) .

وقال لهذه الامة : (أُولئِكَ الذينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلوا) .

« الأحقاف ــ ١٦ »

والعاشر انه قال للخليل : (وبَشَّرْناهُ بِغَلامٍ حَليمٍ) :

وقال لهذه الامة : (وَبشِّرِ الذينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ) .

وأما أوصاف الكليم فانه قال في حق موسى : (إشْرَحْ لي صَدْري) .

وقال لهذه الامة : (أَفَمَنْ شَرَح اللهُ صَدرَه لِلإسلام) :

والثاني ان موسى سأل : (وَيسّر لي أمري) .

وقال لهذه الامة : (يُريدُ اللهُ بِكُمْ اليُسْرَ) .

والثالث : انه قال في حق موسى : (وَلَقَدْ مَنَنا عَلى موسى وَهَارونَ) .

وقال لهذه الامة : (لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلى الْمُؤمِنينَ) .

والرابع انه اخبر عن موسى :(إنَّ مَعِي ربّي سَيَهْدين) .

وقال لهذه الامة : (إنَّ اللهَ مَعَ الذينَ اتَّقوْا) .

والخامس انه قال لموسى : (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما) .

وقال لهذه الامة : (وَيَسْتَجِيبُ الذينَ آمنوا) .

والسادس انه قال لموسى : (لاَ تَخَفْ إنكَ أَنْتَ الاعلى) .

وقال لهذه الامة : (وَلا تَحْزَنوا وأَنْتُم الاعلَونَ) .

والسابع انه قال لموسى : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنّي).

وقال لهذه الامة : (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرّحمنُ وُداً) .

والثامن انه قال لموسى : (لا تَخَف إنَّكَ مِنَ الآمِنينَ) .

وقال لهذه الامة : (أُولئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدونَ) .

والتاسع انه قال لموسى : (قَدْ أُجيبَتْ دَعْوتكما) .

وقال لهذه الامة : (أُجيب دَعْوَةَ الداعِي) .

والعاشر انه أخبر عن موسى فقال : (إنّي ظَلَمْتُ نَفْسي فَاغْفِرْ لي فَغَفَرَ لَهُ) .

وقال لهذه الامة : (إِنَّ اللهَ يَغفِرُ الذنوبَ جَميعا) .

وأما أوصاف الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم فانه سبحانه قال في حقه : (مَا كانَ عَلى النَّبيِّ مِنْ حَرَجٍ).

وقال لامته : (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ في الدينِ مِنْ حَرَجٍ.)

والثاني انه قال في حقه : (لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تقدّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ) .

وقال لامته : (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) .

والثالث انه قال له : (وَيُتِمَّ نِعمَتَهُ عَلَيْكَ) .

وقال لامته : (وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) .

والرابع انه قال له : (وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقيماً) .

وقال لامته : (وانَّ اللهَ لهَادِي الذينَ آمَنوا إلى صراطٍ مُستَقيم) .

والخامس انه قال له : (وَينْصُرَكَ اللهُ نَصْرا عزيزاً) .

وقال لامته : (وَكانَ حَقاً عَلينْا نصْرُ المؤْمِنينَ) .

والسادس أنه قال له : (وَلوْلا ان ثَبّتناكَ) .

وقال لامته : (يُثبّت اللهُ الّذينَ آمَنوا)

والسابع انه قال له : (وَلَسوفَ يُعْطيكَ رَبُّكَ فَترْضى).

وقال لامته : (لَيُدْخِلَنّهُمْ مَدْخَلاً يَرْضَونَه) .

والثامن انه قال له : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) .

وقال لامته : (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسلامِ) .

والتاسع انه قال له : (وَإنَّ لَكَ لاجْراً غَيْرَ مَمْنون).

وقال لامته : (فَلَهُمْ أَجْرٌ غيْرَ مَمْنون) .

والعاشر أنه قال له : (وَجِئْنَا بِكَ على هؤلاء شَهيداً) .

وقال لامته : (لِتكونوا شُهداءَ على النّاسِ) .

ثم قال المصنف رحمه الله : قد روينا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : هل ترون أحدا صلى الله عليه وملائكته سوى محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل : لا . فقال : ان الله وملائكته يصلون على امة محمد ، ثم قرأ : (هُوَ الذي يُصَلِّي عليكم وَمَلائِكَتَهُ) . انتهى ١٢٤ فنون الافنان لابن الجوزي .

ان القرآن العظيم الذي رفع الامة الاسلامية إلى هذه المنازل العالية وكللها بهذه التيجان المرصعة بعقود المجد والعز والفخار وفتح لها آفاق السموات والأرض لتصعد بروحها حتى تداني ملائكة السماء . وتتقدم في الأرض تفتحها وتنيرها وتضيء جوانبها وتقيم العدل والمساواة والحرية فيها ولتكون خليفة الله في أرضه تحكمهابحكمه وتقيم فيها شرعته ومنهاجه ان هذه الامة جديرة بان تجعل هذا القرآن تاج رأسها وقمة مجدها ومصدر فخرها وعزها وأن تتلوه آناء الليل وأطراف النهار وأن تقيم أحكامه وتعيش به وله . وأن يكون خلقها القرآن كما كان خلق نبيها صلى الله عليه وسلم فانه الكتاب العظيم الذي أنزله الله تبيانا لكل شيء ولقد أضاءت أنواره أرجاء الدنيا

وأقامت اياته منارات للهدى وبنت وشيدت أعظم حضارة عرفها تاريخ الوجود الانساني . ويجدر بأُمة القرآن أن ترفع رأسها عاليا فخرا بالقرآن واعتزازا بالقرآن ، وتمجيدا للقرآن في شهر القرآن . (شهرُ رَمَضانَ الذي أُنْزِلَ فيهِ القرُآنَ هدى للناس وَبَيِّنات مِنَ الهُدى وَالْفُرقانِ) .

●

خصائص للقرآن في رمضان

اختص الله شهر رمضان فأنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فرمضان ظرف لنزول القرآن جملة وتفصيلا . لذا فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة في قيام رمضان ليلا أكثر من غيره . ورد في حديث حذيفة رضي الله عنه : ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى معه ليلة في رمضان فقرأ بالبقرة ثم بآل عمران ثم بالنساء لا يمر بآية تخويف إلا وقف وسأل . قال : فما صلى ركعتين حتى جاء بلال فأذن بالصلاة .

وأمر عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أبيَّ بن كعب وتميماً الداري أن يقوما بالناس في رمضان . فكان القارىء يقرأ بالمائتين في الركعتين . حتى كانوا رضي الله عنهم

وأرضاهم يعتمدون على العصي من طول القيام . وما كانوا ينصرفون الا عند الفجر وفي رواية أنهم كانوا يربطون الحبال بين السواري فيتعلقون بها ويتكئون عليها . وروى أنه جمع ثلاثة قراء فأمر أسرعهم قراءة بثلاثين آية وأوسطهم بخمس وعشرين وابطأهم بعشرين . وكان التابعون يقرأون البقرة في ثماني ركعات ويرون أن من قرأها في اثنتي عشرة ركعة قد خفف.

وروى أبو الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم : قام بهم ليلة ثلاث وعشرين إلى ثلث الليل . وليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل . فقالوا : لو ثقلتنا (أي زدتنا بقية ليلتنا » فقال : ان الرجل اذا صلى مع الامام فلا ينصرف كتب له بقية ليلته رواه أصحاب السنن وقد كان من السلف من يختم في قيام رمضان في كل ثلاث ليال ومن يختم في كل سبع وفي كل عشر . وكان قتادة رحمه الله يختم في كل سبع دائما وفي رمضان في كل ثلاث وفي العشر الاواخر كل ليلة وكان للامام الشافعي رحمه الله في رمضان ستون ختمة للقرآن يقرؤها في غير الصلاة . وروي مثل هذا عن الامام أبي حنيفة رحمه الله وكان الامام

مالك رحمه الله اذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل على تلاوة القرآن في المصحف .

قال كعب : ينادي مناد يوم القيامة : ان كل حارث يعطى بحرثه . ويزداد أهل القرآن والصيام فيعطون اجرهم بغير حساب .

وفي المسند خبر : الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشراب والشهوات المحرمة بالنهار ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فَشفعني فيه فيشفعان .

وقال بعض السلف : اذا احتضر المؤمن يقال للملك : شم رأسه فيقول أجد في رأسه القرآن ، فيقال : شم قلبه فيقول أجد في قلبه القرآن : فيقال : شم قدميه فيقول : أجد في قدميه القيام : فيقال : حفظ نفسه حفظه الله عز وجل . وشفاعة القرآن تختص بمن قرأه لله ايمانا وتصديقا وقام بحقوقه من احلال حلاله وتحريم حرامه مع القيام به سيما بالليل كما أشار اليه النبي صلى الله عليه

وسلم بمدحه لبعض أصحابه بقوله : ذلك رجل لا يتوسد القرآن « أي لا يكثر النوم عليه حتى يصير كالوسادة وفي حديث عند الامام أحمد رحمه الله : ان القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره فيقول : هل تعرفني ؟ أنا صاحبك الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك . وكل متجر وراء تجارته فيعطي الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ثم يقال له : اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها . فهو في صعود ما دام يقرأ هَذّاً كان او مرتلا . وفي حديث عبادة الطويل : ان القرآن يأتي صاحبه في القبر فيقول له : أنا الذي كنت أسهر ليلك . واظمئ نهارك وامنعك شهوتك وسمعك وبصرك فستجدني من الاخلاء خليل صدق . ثم يصعد فيسأل فراشا ودثارا فيؤمر له بفراش من الجنة . وقنديل من الجنة . وياسمين من الجنة . ثم يندفع القرآن في قبلة اللحد فيوسع عليه ما شاء الله من ذلك .

واذا كان القرآن العظيم مع صاحبه الذي قام بحقوقه بهذا النفع العظيم فينبغي كما قال ابن مسعود لصاحب القرآن : ان يعرف بليله اذ الناس ينامون وبنهاره

اذ الناس يفطرون وببكائه اذ الناس يضحكون . وبورعه اذ الناس يخلطون وبصمته اذ الناس يخوضون وبخشوعه اذ الناس يختالون وبحزنه اذ الناس يفرحون .

وقال أحمد بن أبي الحواري كما نقله ابن حجر الهيتمي في كتابه إتحاف أهل الاسلام بخصوصيات الصيام .

اني لاقرأ القرآن وانظر في آية آية فيتحير عقلي وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم أو يسعهم ان يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله أما أنهم لو فهموا ما يقولون وعرفوا حقه ، وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم بما قد رزقوا .

أما من نام عن القرآن ولم يعمل به . فانه يخاصمه فيما ضيع من حقوقه وفرط في جنب الله عز وجل فيه .

روى في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ، يمثل القرآن يوم القيامة رجلا فيؤتى بالرجل قد حمله فخالف أمره فيتمثل له فيقول : يا رب حملته اياي فبئس الحامل تعدى حدودي وضيع فرائضي . وركب معصيتي وترك طاعتي

فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال : شأنك به . فيأخذه بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره في النار .

ويؤتى بالرجل الصالح قد كان حمله وحفظ أمره فيمتثل خصما دونه فيأخذ بيده يرسله حتى يلبسه حلة الاستبرق ويعقد عليه تاج الملك . الحديث .

والمسلم قد شرف بالقرآن وسما بالقرآن وعـز بالقرآن حتى أصبح أهلا لئن يحدث ربه . ويناجي ربه ويدعو ربه ويكلم ربه وكأنه بين يديه اذ هو سبحانه القريب المجيب قال تعالى :﴿وَإِذا سَأَلَكَ عبادي عَنِّي فَاني قَريب أُجيبُ دَعْوَةَ الداعي إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجيبوا لي وَلْيَؤمنوا بي لَعَلَّهمْ يَرْشُدونَ ﴾ .

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا أراد أحدكم أن يحدث ربه فليقرإ القرآن .

هذه بعض اثار القرآن العظيم وأسراره وهي قطرة من بحر فمن أراد الدر فعليه بالغوص في بحر عظمة هذا الكتاب العظيم الذي فهمه السلف فكانوا به خير امة اخرجت للناس وقد أنار الله بالقرآن العقول ووسع به

المدارك وأنقذ به البشرية من كل ما كانت فيه من ضلال وخبال وكان هذا القرآن عهدا فاصلا بين عهدين . عهد الهمجية والجاهلية العمياء ، إلى عهد الحضارة والهداية والعلم والعرفان . أخذ به سلفنا الصالح ونفذوا أوامره وطبقوا أحكامه ففتح الله لهم القلوب . وفتح لهم الامصار والديار وأذل لهم الاكاسرة والقياصرة وحكموا ثلاث قارات من الكرة الأرضية . وسادت مبادئهم وانتشرت لغتهم ونالوا العز والمجد والشرف والسؤدد في العالمين وكانوا أبر فاتحين . وأعدل حاكمين وأصدق دعاة وأرحم رعاة . ما وجد التاريخ فاتحا أرحم ولا ابر ولا أعدل منهم . ولكن واأسفاه خلف من بعدهم خلف أضاعوا هذا الكتاب العظيم فضاعوا وتركوا أحكامه فتاهوا ونسوا الله فنسيهم وأنساهم أنفسهم فهانوا على أنفسهم وعلى الناس . وسلط عليهم بذنوبهم من لا يخاف الله ولا يرحمهم واستبد بهم الأقوياء وتآمر عليهم الخبثاء . وكثرت عليهم السهام وكانوا أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام .

وعز هذه الامة في كتابها . ومجدها في قرآنها . فان رجعت اليه تحكمه في حياتها وتحتكم اليه في أمورها

وشؤونها وتحكم به بين الناس . وتجاهد في سبيل الله حق الجهاد . وتعتصم بحبل الله المتين وهو الاسلام العظيم وتلقي رداء الخمول والقعود وتجد وتعمل وتنذر نفسها لله وتبيع أنفسها وأموالها لله وتحمل قرآنها ينير لها السبيل ويبعث فيها روح العزة والانفة من جديد وعندها تعلو كلمة الله فتعز هذه الامة وتعود إلى سالف مجدها وماضي عزها وما ذلك على الله بعزيز .

●

فتنة : القرآن وحده

قامت فتنة حديثة حضلة ندعو إلى الأخذ بالقران وحده وتنبذ السنة المطهرة . وجميع تفاسير القرآن الكريم وتفسره هي تفسيراً كما يوسوس لها شيطانها الرجيم . ومقر هذه الجماعة الضالة في باكستان . والاسلام إنما هو كتاب وسنة . فمن نبذ واحداً منهما فقد كفر بالاسلام وخرج من الاسلام . والوحي نوعان . وحي متلو مقروء وهو القرآن الكريم ووحي غير متلو وهو السنة النبوية المطهرة . والسنة الجناح الثاني للاسلام قال تعالى : « وَمَا أَتاكُمْ الرَّسولُ فَخُذوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهوا » وقال تعالى : « وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ إنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يوحى » فالرسول الامين عليه الصلاة والسلام هو ترجمان القران

وقد نزل على قلبه الشريف وبلغه أحسن بلاغ وأداه بأمانة وجاهد في الله حق جهاده . والسنة شرح وبيان وتفسير لاحكام القرآن ونحن مأمورون بالأخذ بها بنص كتاب الله ولقد أوتي رسول الله ﷺ القرآن ومثله معه .

روى عن عبد الرزاق عن معمر عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة قال : كنا عند عمران بن حصين فكنا نتذاكر العلم فقال رجل : لا تتحدثوا إلا بما في القرآن . فقال له عمر ان بن حصين إنك لاحمق أوجدت في القرآن الظهر أربع ركعات لا يجهر بالقراءة في شيء منها ؟ أو المغرب ثلاثاً يجهر بالقراءة في ركعتين ولا يجهر بالقراءة في ركعة والفجر ركعتين يجهر فيهما بالقراءة ؟ قال ولم يكن الرجل الذي قال هذا صاحب هَذْيٍ ولكنها كانت منه زلة قال : ثم قال عمران لي : ما نحن فيه يعدل القرآن أو نحو هذا الكلام . قال المؤمن قلت : ونقد حسن في عمران فأحسن التنبيه على موضوع الحاجة إلى تفسير مجملات القرآن ولم يأْل فقهاءُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم بياناً كانت الحاجة له في كل زمان وهذا عبد الله بن عباس لم يدع آية في

القرآن إلا وقد ذكر لي من تفسيرها على ما وردت عنه الرواة ولذلك قيل إبن عباس ترجمان القرآن ـ من كتاب مقدمتان في علوم القرآن ص ١٩٣ ـ وهذا ما قاله له رسول الله صلى الله عليه وسلم . عن مجاهد قال : قال إبن عباس قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم . نعم ترجمان القرآن أنت . وقال الامام السيوطي رحمه الله في بيان الحاجة إلى التفسير ما ملخصه . « القرآن إنما أُنزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب ، فكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه » .

أما دقائق باطنه فلا تظهر لهم إلا بعد البحث والنظر وسؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم مثل قولهم « وَأَيُّنا لَمْ يظْلِمْ نَفْسَه » حينما نزل قول الله تعالى (الَّذينَ آمَنوا وَلَمْ يَلْبِسوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مهتَدونَ) ففسر النبي صلى الله عليه وسلم الظلم بالشرك واستدل بقوله تعالى (إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيمٌ) وكذلك ، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم «من نوقش الحساب عذب» سألته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن قوله تعالى (فَسوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسيراً وَيَنْقَلِبُ إلى أَهلِهِ مَسْروراً)

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ذٰلِكَ أَلعَرْضُ » وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والخيط الأسود . ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون اليه . بل نحن أشد الناس حاجة إلى التفسير لقصورنا عن مدارك اللغة وأسرارها بغير تعليم » إنتهى مناهل العرفان صفحة ٤٧٧ الجزءُ الأول . وبهذا تثبت ضرورة التفسير لكتاب الله وخير التفسير تفسير القرآن بالقرآن إذ القرآن يفسر بعضه بعضا ثم التفسير بالمأثور من أقوال الرسول الامين عليه الصلاة والسلام ثم الصحابة والتابعين له بإحسان . والتماس معرفة عربيته واعرابه في الشعر العربي الفصيح والتفاسير المعتبرة قد جمعت الخيرات والبركات .

روى ابن عباس أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أي علم القرآن أفضل ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم عربيته فالتمسوها في الشعر . وقال أيضا عليه الصلاة والسلام أعربوا القرآن والتمسوا إعرابه عن الله فإن الله سبحانه وتعالى يحب أن يعرب : قال مؤلف كتاب : مقدمتان في علوم القرآن صفحة ٢٦١ : «ان اعراب القران أصل في الشريعة لان بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع »

ولقد خاب وخسر دعاة فتنة القرآن وحده . إذ القرآن محفوظ بحفظ الله له (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وَإِنا لَهُ لَحافِظونَ) وعلينا أن نفهم كتاب الله فهماً محكماً يليق بمقام هذا الكتاب الرباني العظيم .

ولا نلتفت إلى دعاة الضلال من حزب الشيطان أمثال هؤلاء وغيرهم من أعداء القرآن .

●

ختم القرآن

من توفيق الله للعبد أن يرزقه معرفة تلاوة القرآن العظيم ثم من تمام النعمة أن يرزقه فهم آياته وتطبيق أحكامه وتقييد النعم إنما يأتي بالشكر . فشكر النعمة ضمان لدوامها والمزيد منها قال تعالى «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» .

وشكر نعمة إعطائك القرآن هي أن تلازم تلاوة القرآن فتجعل لك منه ورداً يومياً لا تنقطع عنه وتتنقل في آيات الله وأجزاء هذا القرآن من روضة إلى روضة كلما حللت في روضة ارتحلت إلى أخرى كالمتنقل في رياض الجنة وكان هذا شأن السلف الصالح فقد كان لكل واحد

منهم ورد يومي من القرآن العظيم يتلوه بتدبر ويقرأه بأناة وسكينة ووقار وكلما فرغ أحدهم من ختمة شرع في أخرى . وفي حديث أنس رضي الله عنه قال :

« خير الأعمال الحل والارتحال قيل وماهما قال إفتتاح القرآن وختمه . والورد اليومي يستحب الاَّ يقل عن جزء ولا يزيد عن عشرة أجزاء كما ذكرت ذلك سابقاً . ويجتهد المرء الا يختم في أكثر من شهر ولا في أقل من ثلاثة أيام لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت إني أجد قوة قال فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك » رواه البخاري وإذا لم تتمكن من إتمام جزء فاختر لك مقداراً لا تتركه أبداً ولو كان نصف جزء أو ربع جزء والمهم الاستمرار ودوام الصلة مع الله في كتابه العظيم ولا نتركه مهجوراً . ففي ذلك بعد عن الله عز وجل يقسو معه قلبك فتكون ـ نعوذ بالله ـ من أهل النار ودم على قراءة القرآن فإنه نور وبركة ورحمة

الدعاء في ختم القرآن

يستحب لمن ختم القرآن العظيم أن يشكر الله عز وجل ويدعوه بما يشاءُ من الدعاء المأثور والدعاءُ مخ العبادة والله تبارك وتعالى يحب من عباده أن يتوجهوا اليه بالدعاء (وَقالَ رَبُّكُمْ أُدْعوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ) .

ورد عن قتادة عن أنس رضي الله عنهما قال : كان أنس إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا . وفي هذا من المعاني العظيمة ما فيه وهو مشاركة للأهل والولد في الدعاء عند ختم القرآن ليتجه الجميع إلى الله ويشعروا بـ ظمته وربوبيته وألوهيته عز وجل فقيل ليوسف بن أسباط بأي شيء تدعو إذا ختمت القرآن فقال أستغفر الله من تلاوتي . لأني إذا

ختمته ثم تذكرت ما فيه من الأعمال خشيت المقت فأعدل إلى الاستغفار والتسبيح .

وقرأ رجل القرآن على بعض العلماء فقال : فلما ختمته أردت الرجوع من أوله فقال : اتخذت القراءة عليّ عملاً إذهب فاقرأه على الله تعالى في ليلك وانظر ماذا يفهمك منه فاعمل به (١) .

فاحرص على الدعاء عند ختمك لكتاب الله وابدأ بعد الختمة بأخرى والمؤمن كلما حل ارتحل وإليك نموذجاً من الدعاء :

●

(١) من كتاب مقدمتان في علوم القرآن صفحة ٢٦١ مقدمة المباني ومقدمة ابن عطية.

علاج نسيان القرآن

النسيان صفة من صفات النقص . والانسان مخلوق ضعيف كما قال تعالى :«وخلق الإنسان ضعيفاً » لذا كان كثير النسيان يلازمه منذ صغره ، ويزيد فيه عند كِبَرِه ، بل قيل فيه : وانما سميت إنساناً لأنك ناسي ...

ولما كان النسيان من صفات النقص التي تخل بالكمال فالرب تبارك وتعالى . وهو الكمال المطلق . قد نفاها عن نفسه فقال :«وما كان ربك نسياً». والإنسان ينسى الكثير مما يقرأ ويسمع ، بل قد ينسى نفسه أحياناً وينسى أنه ناسي . فسبحان الذي لا يضل ولا ينسى .

ولعل كتاب الله العزيز وهو المنزل بإسلوبه الرائع

البديع ، وببلاغته التي تأخذ بالألباب . والذي يَسَّرهُ الله للذكر والحفظ والتلاوة ، إنه مع كل ذلك ومع تيسير الله عز وجل لآياته حتى كانت كالسلسبيل رقة . وحلاوة فهو من أشد الكتب والعلوم نسياناً وهو يكاد يطير أو يتفلت من الذهن . وروي أنه « أي القرآن » أشد انفلاتاً من الإبل في عُقُلها .

ولا شك أن النسيان مرض . ولكل مرض علاج ؛ فما علاج نسيان القرآن يا ترى ؟ ؟

إنني ذاكر هنا علاجين مُجَرَّبين وناجحين نجاحاً أكيداً موثقاً ومضموناً .

١ ـ العلاج الأول : هو اللجوء إلى الله عز وجل تدعوه تعالى : أن يلزم قلبك حفظ كتابه ، وأن ينور به بصرك وأن يشرح به صدرك . وأن يثبتك على تلاوته على الوجه الذي يرضيه عز وجل عنك . وأن يفتح به قلبك ، ويطلق به لسانك .

ودليل هذا العلاج الناجع ما روي عن الخليفة الراشد

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن أبيه عبد العزيز بن مروان عن أبي الدرداء قوله : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا خشي أحدكم نسيان القرآن فليقل :

اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني ، وارحمني بترك ما لا يعنيني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني .وألزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني ، ونور به بصري ، واشرح به صدري ، واجعلني أتلوه كما يرضيك عني ، وافتح به قلبي ، وأطلق به لساني » (1)

٢ - والعلاج الثاني : هو دوام التلاوة ، وكثرة المذاكرة واستمرار القراءة ، مع نفسك ، ومع أهلك وفي صلاتك خاصة . وأيام صيامك ، وفي تهجدك في سكون الليل . وحاول أن تجد لك زميلاً ورفيقاً حافظاً تتذاكر واياه وتتدارسان كتاب الله ، تقرأ مرة ، ويقرأ اخرى . فتنفعه وينفعك ، وتثبته ويثبتك .

فإن جبريل عليه السلام كان يدارس النبي عليه الصلاة

والسلام القرآن في رمضان . حتى انه دارسه القرآن العظيم مرتين في السنة الأخيرة من حياته المباركة عليه الصلاة والسلام.

هذان علاجان موصوفان ومجربان يمكنك أن تعالج بهما مرض النسيان وتصرف عنك كيد الشيطان وتحتفظ بالكنز العظيم القرآن ، ويبقى نوراً لقلبك ، وضياء لعينيك وبرهاناً ودليلاً لك يوصلك إلى مراضي الله عز وجل ويجنبك مساخطه سبحانه . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين » .

دعاء ختم القرآن[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

صدقَ اللهُ العظيمُ الَّذِي لا إلٰهَ إلاَّ هُوَ المُتَوحدُ فِي الجَلاَلِ بكَمالِ الجَمَالِ تَعْظِيماً وتكْبِيراً ، المُتَفرِّدُ بتصْريفِ الأَحْوَالِ علَى التَفْصِيلِ والإجمــال تَقْديــراً وتَدبيراً ، المُتَعالِي بعَظمَتِهِ ومَجدِهِ الَّذي نَزَّلَ الفرقانَ علَى عَبدِهِ ليكونَ للعَالِمينَ نَذِيراً .

وصَدَقَ رسُولُه الأمين صلىَّ اللهُ عليه وسلَّم تَسليماً كثِيراً ، الَّذِي أرسَلَهُ اللهُ إلَى جَمِيعِ الثَّقَلَينِ الجنَ والإِنْسِ بَشيراً وَنَذِيراً ، ودَاعِياً إلىَ اللهِ باذْنِهِ وَسِراجــاً مُنِيراً .

---

(١) هذا الدعاء من جمع المؤلف .

اللَّهمَّ لَكَ الحمدُ علَى ما انعَمتَ بِهِ علينا مِنْ نِعَمكَ العَظِيمَة . وآلائكَ الجَسِيمَةِ ، حَيثُ أَنْزَلتَ علَينا خَيرَ كتبِكَ ، وأَرسَلْتَ الينَا أَفْضلَ رُسُلكَ . وَشَرعتَ لَنا أَفْضَل شَرائعِ دِينِكَ وجَعَلْتَنا مِنْ خَيرِ أُمَّةٍ أُخرِجَت للنَّاسِ نَأْمُر بالمعرُوفِ وتَنهى عنِ المنْكَرِ ونؤمِن باللهِ . وهَدَيتَنا لِمعَالمِ دِينكَ الَّذي ارتَضَيتَهُ لِنفسِكَ : « انَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الاسْلامُ » وفَرضتَهُ علَى عِبَادِكَ :« ومنْ يَبْتغِ غَيْر الاسْلاَمِ ديناً فلنْ يُقْبَلَ منه .

اللهمَّ : إنَّا عَبِيدُكَ بَنو عَبيدِكَ ، بَنو إمَائِك. نواصِيَنا بِيَدِكَ مَاضٍ فِينَا حُكْمُكَ ، عَدلٌ فِينَا قَضاؤُكَ .

نَسْأَلُكَ اللَّهمَّ بكلِّ اسمٍ هو لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنزَلْتَه في كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَه أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتأْثَرْتَ بِه فِي عِلْم الغيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ القرآنَ الْعَظيمَ رَبيعَ قلوبِنَا ونورَ صُدُورِنا ، وَجَلاءَ أَحزَانِنا . وذَهَابَ هُمُومِنَا وَغُمُومِنَا .

اللهم ذَكِّرنا مِنْهُ مَا نَسِينَا ، وعَلِّمنا مِنْهُ ما جَهِلْنَا ، وارزُقْنَا تِلاَوتَهُ آناءَ الليْلِ وأَطْرافَ النَّهارِ علَى الوَجْهِ الَّذي يُرْضِيك عَنَّا .

اللهُمَّ اجعلِ القُرآنَ لَنا فِي الدُّنْيَا قَرينَا ، وفي القَبرِ مُؤْنِساً ، وَفِي القِيَامَةِ شَفِيعاً ، وعلى الصِّراطِ نُوراً . وإلَى الجَنَّةِ رَفيقاً ، ومِنَ النَّارِ سِتْراً وحِجَاباً ، وإلَى الخيرات كلِّها دَليلاً وإمَاماً . بِفَضْلِكَ وَجُودِكَ وكَرَمِكَ يا كَرِيمُ يا عَظِيمُ . ويا غَفُورُ ويَا رَحِيمُ .

اللهمَّ أهدِنا بِهِدَايَةِ القُرآنِ ، وَنَجِّنا مِنَ النيِّرانِ بِكَرامَةِ القُرآنِ ، وارفَع دَرَجاتِنا بِفَضِيلَةِ القُرآنِ ، وكَفِّر عَنَّا سَيِّئَاتِنَا بِتَلاَوَةِ القُرآنِ يا ذَا الفَضْلِ وَالاحسَان .

اللهُمَّ طَهِّر قُلوبَنَا ، واستر عُيُوبَنَا ، واشْفِ مَرضَانَا ، واقضِ دُيونَنَا ، وبَيِّضْ وُجُوهَنَا ، وارفَعْ دَرجاتِنَا ، وارحَم آباءنا واغفِر لأُمَّهَاتِنا ، وأَصلِحْ دِينَنَا ودُنْيانَا . وشَتِّت شَملَ أعدائِنا ، واحفَظْ أهلَنا وأموالَنا وبلاَدَنا وبلادَ المُسلِمينَ اجمَعِينَ مِنْ جَمِيعِ الآفَاتِ والأَمراضِ والبَلاَيَا والمِحَنِ وثَبِّت أَقْدَامَنا وانْصُرنَا علَى القَومِ الكَافِرِينَ .

اللهمَّ اغفِر لِلمُؤْمنينَ والمُؤمِنَات ، والمُسلِمينَ وَالمُسلِمَاتِ . وألِّف بَينَ قلوبهم ، واصلحْ ذاتَ بَينِهِمْ

وأنْصُرهُم علَى عَدُوِّكَ وعَدُوِّهم . واهدِهِمْ سُبُلَ السَّلامِ . وأَخْرجهُم مِنَ الظُّلُماتِ الىَ النُّورِ . وبَارِكْ لَهُمْ فِي أَسماعِهِمْ وأَبصَارِهمْ وذُرِّيَّاتِهمْ . وازْوَاجِهمْ أَبَداً ما أَبقَيتَهُمْ ، واجعَلْنا وأَيَّاهُم شَاكِرِينَ لِنِعَمِكَ ، مُثْنِينَ بِهَا عَليكَ وقَابِلِيها واتمَّها علَينا وعلَيْهم بِرَحْمَتِكَ وفَضْلِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللهُمَّ اغفِر لِجميعِ مَوْتَى المُسْلِمينَ الَّذِينَ شَهِدُوا لَكَ بالوَحْدانية وَلِنَبيِّكَ بالرِّسالَةِ ومَاتوا علَى ذَلِكَ .

اللهمَّ اغفِرْ لَهم وارْحَمْهم وعَافِهِمْ واعْفُ عَنْهم . وا كْرِمْ نُزلَهُم ، وَوسِّعْ مُدْخَلَهُم ، واغْسِلْهُم بالمَاءِ والثَّلْجِ والبَرَدِ . ونَقِّهم مِنَ الذنُوبِ والخَطَايا . كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الابْيَضُ مِنَ الدنَسِ . « ربَّنا اغفِرْ لَنا ولاخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بالإيمانِ وَلاَ تَجْعَلْ في قلوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ » .

اللهُمَّ انَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْر كلِّه عَاجِلِه وآجِلِه ما عَلِمنا مِنْهُ وَمَا لَمْ نعلَمْ ، ونَعُوذُ بِكَ مِنَ الشرِّ كُلِّه عَاجلِه وآجِلِه ما علمنا مِنْهُ ومَا لَمْ نَعلَم ، وَنسأَلُكَ مِنْ خَيْر مَا سأَلك مِنْه عَبدُك وَرسُولُك مُحَمَّد صلى اللهُ عليه وسَلَّم وعِبَادُك

الصَّالِحُون . ونعُوذ بِكَ مِنْ شر ما استعاذك مِنْهُ عَبدك ورسُولُك مُحَمَّدُ صلى اللهُ عَليه وسلَّمَ وعِبادُكَ الصَّالِحُون .

اللهُمَّ انَّا نسأَلُك الجنَّة ومَا قربَ اليها مِنْ قولٍ وعَمَلٍ . ونعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول وعمل ، ونسأَلُك رِضاك والجَنَّة . ونعُوذُ بك مِنْ سَخطِك والنَّارِ .

ربَّنا اغْفِر لنا ذُنُوبنا واسرافنا فِي أَمرِنا وَثبِّت اقْدَامنا وانْصُرنا على القومِ الكافِرين .

يا قاضِيَ الحَاجَاتِ . ويَا مُجِيبَ الدَّعَواتِ ، ويَا رَبَّ الأَرضِ والسَّمواتِ ، استجِب دَعاءَنا ، واغْفِر لنا زلاَّتِنا . ولا تُؤاخِذْنا بِما فعل السُّفهاءُ منَّا ، وارحَمنا بِرَحمَتِك يا أرحَم الرَّاحِمِين ، وانْصُرنا بِنصرك المُبينِ يا أَنْصَر النَّاصرين . ويا خير المُعطِينِ ، ويا خَيرَ المُجِبِينَ يَا سَمِيعُ ويَا عَلِيمُ ، ويَا حَكِيمُ ويَا كَرِيمُ ، ويا رؤُوفُ ويَا رَحِيمُ ، أَنْتَ الأَوّلُ . وانتَ الآخِرُ . وانْتَ الظَّاهِرُ . وأَنْتَ البَاطِنُ . وأَنْتَ بِكلِّ شَيءٍ عَليمٌ وعلَى كِلِّ شيءٍ قَدِيرٌ جَلَّ جلاَلُكَ ، وعَزَّ كَمالُكَ ولاَ إلَه غَيرُكَ .

اللهُمَّ صَلِّ علَى مَحمَّدٍ وعَلَى آلِ مُحمَّدٍ كَمَا صَلَّيتَ

عَلى ابرَاهيمَ وعَلَى آلِ ابراهِيمَ انَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، وبَارِكْ علَى مُحَمَّدٍ وعلَى آلِ مُحَمَّد كَما بَاركْتَ علَى ابراهيمُ وعلى آلِ إبراهيم إنك حَمِيدٌ مَجيدٌ .

اللهُمَّ اجعَلْ نَوامِيَ صَلَواتِكَ ، وعَظِمَ بَرَكاتِكَ على سيِّدنا مُحَمَّدٍ صلَى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وشَفَّعهِ فِينا يَومَ لا ينْفَعُ مالٌ ولاَ بَنُونَ الاَّ مَنْ اتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَليمٍ .

اللهُمَّ صلِّ وسَلم علَى سيدنَا مُحمَّد أَفْضَلَ ما صَلَيت علَى احَدٍ مِنْ خلْقِكَ ، واجزِهِ عَنَّا خَيرَ ما جَازَيتَ نَبِيَّاً عَنْ أُمَّتِهِ .

اللهُمَّ زَكِّنَا بالصَّلاةِ عَلَيه ، واحْشُرْنا فِي زُمْرَتِه ، واوْرِدْنَا حَوْضَهُ مَعَ الآلِ والأَصْحَاب بِرحْمَتِكَ يَا كريمُ يا وَهَّابُ والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ .

فهرس الكتاب